

جامعة مولود معمري تيزي وزو
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإجتماعية



أسس نظرية العقد الاجتماعي عند جون جاك روسو

مذكرة مقدمة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة
تخصص الفلسفة الغربية و المعاصرة

تحت إشراف الأستاذة:
- رمضان زازون

من إعداد الطالبة:

- بشيري ليدية

السنة الجامعية 2024/2023

كلمة الشكر

ستاذي الفاضل " رمضان زازون " لك مني فائق الإحترام والتقدير على توجيهاتك العلمية والإرشادات القيمة التي ساعدني في إنجاز هذا البحث وأشكر أصدقائي على المساعدة التي تلقيتها منه ونشكر كل من ساعدنا سواء من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا العمل .

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى كل عائلتي صغيرا وكبيرا وإلى كل زملائي شكرا جزيلا .

عاشت أوروبا لفترة طويلة من الزمن خمودا و تخلفا و تقييد لكل مجالات الحياة فعرقلت الحركة الاقتصادية و السياسية و العلمية و العقلية و الفكرية ، سميت هذه الفترة بعصر الظلام أو العصر الوسيط فكانت الكنيسة المسيحية في معظم دول هذه القارة هي المسيطر على مختلف المجالات المذكورة ، كانت هذه الأوضاع و الظروف سبب لبروز فيما بعد بداية من عصر النهضة،مكبرين و فلاسفيين الذين ثاروا ضد هذه الأوضاع ثاروا ضد الجهل و القيرد و الظلم و السيطرة و الاستبداد الذي استمر به العصر الوسيط حيث يسيطر خلال هذا الاخير ، الكنيسة سلطتها على الحياة الروحية (الدينية) فتمسكته بزمام السلطة الروحية و كذلك الحياة البرمانية و السياسية و الاقتصادية ، كانت تسير و توحد السلطة الزمنية معتمدة و مستعينة في ذلك بالنظام الإقطاعي الذي كرس التفاوت والظلم في المجتمعات الاوروبية هؤلاء المفكرونمن اجل التطوير والنوعية وتغيير احوال المجتمع من الاسوء الى الاحسن واصلاح ما افسدته الانظمة السائدة من اجل مجتمعات الاكثر حرية وعدل ومساواة وازدهار ...ولعل من ابرز من بين هذه الفلاسفة نذكر ديكارت جون لوك و.جون جاك روسو وقبلهم كان دانتي.....

فقد كان الفيلسوف الفرنسي جون جاك روسو من اهم الفلاسفة الفرنسيين الذين كانوا سببا في تغيير أوضاع أوروبا .وهذا بالافكار التقدمية التي ندى بها روسو الذي هو نموذج الذي ركزنا عليه في بحثنا هذا ما نجده في مؤلفاته التي منها العقد الغجتماعي اصل التفاوت بين الناس و غميل أو التربية حيث نادى المجتمع الجديد ساء للدمقراطية و الحريات و الإحترتم و العدة و التربية لسلمة المجتمع الجديد بمعاصر جديدة هذه الامبادئ هي ركائز فلسفة حقوق الإنسان و المواطن العصر الحديث فمن اجل رفقت الاقلام و الكتب فإحتل العقد الإجتماعي مكانا بارزا لدى الكثير من المفكرين و قد كان جون جاك روسو من ابرزهم حقوق الانسان ومطالبه بها ونشر الوعي حولها من خلال

نظرية في العقد الاجتماعي فهي ليست مجرد نظرية فحسب بل هي خطابا سياسيا يهتم بالانسان وموضعه واقع الانسان .

ولهذا فقد كان من الامر الاساسي اختيار هذا الموضوع على النحو الشخصي وايضا اهتمام.يفكر روسو عامة وفكرة.خاصة لما قدمه من انجازات عظيمة ستبقى على مدى التاريخ لان دراسة علاقات الفرد بالمجتمع وعلاقة الحاكم المحكوم هي دائما حديث الساعة ولان الحرية والمساواة والعدل هي مطالب الشعوب في كل زمان ومكان فالكثير من الافكار لروسو تستحق البحث والتأمل والتي جعلتالتوجه عليها راجعية نظرية عقد جديدة في مفكرينا الغرب .

-م ماهي أهم المبادئ التي ركز عليها روسو في نظرية العقد الاجتماعي وكيف أثرت أفكاره على فرنسا و أوروبا فيما بعد ؟

وحتى تتمكن من الاجابة عن الاشكالية المطروحة ولتوضح محتوى بحثنا قمنا بتقييم بحثنا الى ثلاثة فصول اساسية حيث تطرقنا في الفصل الاولالذي جاء تحت عنوان من طرح المفاهيم الى جذور فكرة العقد الاجتماعي عبر التاريخ و الى تحديد المصطلح من وصفها روسو في فلسفته السياسية وكذلك عدنا الى جذور فكرة العدالة عبر التاريخ منذ العصر اليوناني مرورا بالعصر الوسيط ينفيه المسيحي والاسلامي ووصولاً الى العصر الحديث مع امر ممثلي هذا العصر وهم فلاسفة العقد الاجتماعي وهذا الفصل بدوره ممر الى ثلاث مباحث اساسيين المبحث الاول غي هذا الفصل تناولنا تحديد المصطلحات اما في المبحث الثاني فذكرنا فيه رواد نظرية العقد الاجتماعي و تناولنا في المبحث الثالث الفلسفة الفكرية و السياسية، اما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان اسس نظرية العقد الاجتماعي الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية وقد قسمناها إلى اؤبغة مباحث المبحث الأول كان بعنوان الحالة الطبيعية و سيماتها اي مميزاتها اما المبحث الثاني تناولنا فيه الحالة المدنية و سيماتها أي مميزاتها المبحث الثالث اهمية العقد الاجتماعي لضمان

إستمرارية الدولة و إستقرارها اما المبحث الرابع فتناولنا فيه دور التربية في بناء المواطنة الحقة عند روسو والفصل الثالث في هذا البحث فقد جاء تحت عنوان تأثر اداء روسو في الفكر السياسي الحديث و المعاصر تناولنا في المبحث الاول تأثيره على الثورة الفرنسية أما في المبحث الثاني تأثيره على الفكر السياسي العربي المبحث الثالث الذي جاء تحت عنوان علاقة روسو بفكرة المواطنة و حقوق الأنسان

لحديث والمعاصر وهذا الفصل مقسم بدوره الى ثلاثة مباحث اساسية المبحث الاول تأثير روسو في الثورة الفرنسية 1789 انخرط في سلكها وليس المقصود بهذه الحرية الحصول اما المبحث الثاني من هذا الفصل تأثيره على انخرط في سلكها وليس المقصود بهذه الحرية الحصول الفرد العربي اما البحث الثالث من هذا الفصل علاقة روسو بفكرة المواطنة وحقوق الانسان.

الفصل الاول

منطرح المفاهيمي إلى جذور نظرية العقد الإجتماعي

المبحث الأول ضبط المفاهيم

1 - العقد الإجتماعي

2- العدالة

3- المساواة

4- الحرية السياسية

5- المواطنة

6- السيادة

المبحث الثاني : رواد نظرية العقد الإجتماعي

1 - توماس هوبس

2 - جون لوك

المبحث الثالث الخلفية الفكرية و السياسية لفكر جون جاكروسو

1 - حياته

2 - الأوضاع السياسية و الإجتماعية

1. تحديد المفاهيم

المبحث الأول تحديد المفاهيم

العقد الاجتماعي

الغة

هو اتفاقي التزم بمقتضاء شخص او عدة اشخاص اتجاه شخص عدة أشخاص بتقديم شئ ما أو بالقيام بعدم القيام بشيء ما والعقد الاجتماعي عامة هو >> اتفاق بين أفراد المجتمع يوجب على كل واحد منهم وهو في الحالة الطبيعية أن يغهد في شخصه وفي كل ما لديه من قدرات إلى الإرادة الغامة التي تنتظم بها حياة الكل فالافراد الذين في حالة الطبيعية حيث لا شئ بغد حريتهم وإرادتهم يتنازلون بمقتضى هذا العقد عن حريتهم الطبيعية لمصالح المجموعة و يتحصلون في مقابل ذلك على حرية إجتماعية اساسها العدل و المساواة للشعور بالامان و طمئينة << عذا هو مفهوم العقد الإجتماعي عامة و يختلف هذا المهوم بين فلاسفة العقد الإجتماعي في بعض النقاط.¹

إن العقد الإجتماعي يجب ايستعيد قوته من الشعب الذي يتنازل كليا عن حقوقه للجماعة بأسرها و كلما كان التوازن كليا وبلا تحفظ كان الإتحاد اكمل >إن هذا التنازل لا يعدم الحرية ولا المساواة للطبيعتين بقدر ما يحافظ عليهما باعتبار تام و كليا كما ألة متساوي بالنسبة للمجتمع << هذا العقد الذي يجمع الافراد الطبيعيون و أعضاء الجماعة السياسية حيث يتنازل الافراد كلية دون أي تحفظ عن جميع حقوقهم للمجموع >شريطة ان هذا التنازل لا يفقد الأفراد حرياتهم و حقوقهم نهائيا لأنهم سيستعيضون عنها بحريات و حقوق مدنية تقرها لهم الجماعة المدنية التي

¹ جمال الدين سعيد معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية (تونس دار الجنوب لنشر 2004) ص 788

أقاسوها بل إن وجود هذه الجماعة يفترض وجود هذه الحقوق و الحريات المدنية لأنها ما قامت إلا لحمايتها

الحرية السياسية

تعتبر الحرية حق من حقوق الانسان الطبيعية ولقد اهتمت الدراسات الفلسفية بها في مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فالحرية بهذا المعنى قسمنا .الحرية النسبية والحرية المطلقة اما الحرية النسبية فهي الخلاص من الاكراه الاجتماعي والحر هو الذي .امر به القانون ويمتنع عما نهى عنه ان الاعراب عن الفكر والراي اثن حقوق ان يكون مسؤول عن عمله في الحدود التي يعيها.القانون ولقد جاء في المادة 29 من لائحة حقوق الانسان يخضع الفرد في ممارسته ضمان الاعتراف بحقوق الغير واحترام حرياته وتحقيق ما يقتضيه النظام العامر من شروط عادلة والحريات السياسية هي الحقوق المعترف بها في الدولة كحرية الفكر والراي و الضمير و الدين و التعبير¹

العدالة

يصهر قضية العدالة بين قضايا الفكر السياسي اكثرها أهمية وتأثير في تطور الحضارة البشرية الاستقامية².

اصطلاحا فهي تشكل القيمة المركزية في جميع العلوم المعيارية والحقوق الفلسفية السياسية الاخلاق والدين التي تتضح بشكل مباشر او غير مباشر.

وتعرف العدالة بشكل عام بانها الاحترام الدقيق للشخص وحقوقه ويرمز لها بالميزان المساوي الكفتين كفة تحمل كفة الدائن كفة ثانية تحمل كفة المدين حتى يقوم ويتحقق التوازن بينهما وبهذا المعنى تنطوي كلمة العدالة على فكرة الدقة التي هي متشابهة لدقة الرياضيات

¹عبد الوهاب الكيالي موسوعة السياسية (بيروت المؤسسة العربية لدراسات النشر 1994) ص 18
²جميل صليبا²المعجم الفلسفي (بيروت لبنان دار الكتاب اللبذاتي ج 1982 ص 463

فالخط المستقيم في الهندسة مثلا تقابعد الانسانويستوجب على هذا الانسان أيضا ان يخضع حكمه للعقل والحساب حتى لا يتعرض للشبهات او يقع في الخطأ¹

كما تعرف العدالة عند الفلاسفة بانها المبدأ المثالي او الطبيعي او الرضعي الذي يحدد معنى الحق ويوجب احترامه وتطبيقه والعدالة ليست جزء من القضية الفضيلة انما هي الفضيلة كلها² تشمل العدالة على جميع الفضائل فهي شاملة تتوحد فيها جملة الخير والمعنى الدقيق لها يدل من جهته على النظام المبدئي والعقلي الناجح ومن جهته تدل على إرادة اقامة .نظام بين الناس والحفاظ عليه وكذلك تعني العدالة جملة القيم المنظمة التي تعترف للكائنات الاجتماعية بحريتهم وبحق بعضهم حيال بعض الاخر ان العدالة منقوشة في العادات الأخلاقية كما انها تنتقل وترشح وتصبح دقيقة بطريقة المحاكات والتربية المنتشرة وفي الممكن جدا ان تكون العدالة قد نشأت في اختراعات واختبارات وقرارات وتوضيحات وتنازلات في اجل اقامته بين الافراد.³

نشأ العدالة عندما يجتمع كثرة الناس الذين يحيون حياة مشتركة وتتضح في الطريقة التي يحكم بها بعضهم بعض حكما متبادلا ان العدالة هو نظام يشمل على اراء ناجمة عن الاختراع و.وقد بلغت درجة الاستقرار بالتعويض والتبادل وهي التي تؤلف عندئذ منظمة القيم التي يعترف بها كل امرئ الغير

كما ان العدالة تعترف و تميز وتحمي داخل الجماعة حريات التربية والتعبير وممارسة الوظائف والامتلاكات والخيرات وهذا يعني ان العدالة هي على الدوام قيم إنسانية وهي قيمة سياسية قيمة إنسانية متعلقة بالأمان فلا عدالة الا بالإنسان ذلك انها ايرام انساني وتطبق على الكائنات الراغبة في الحفاظ على وجودها الخاص و على قدرة الإرادة الحرة الخاصة بكل انسان.

¹ عبد الوهاب الكيالي موسوعة سياسية مرجع سبق ذكره ص 18

² جميل صليبا المعجم الفلسفي مرجع سبق ذكره ص 58 59

لقيت العدالة اهتمام بالغ كونها قضية هامة في الفكر السياسي في الكثير من الفلاسفة فنجد ان العدالة عند افلاطون هي ناتج الحق العقل المنسق .لقوى النفس الثلاث .العاقلة والقضبية و الشهوانية¹

اما ارسطو فقد ميز بين نوعين من العدالة العدالة التبادلية والعدالة التوزيعية بحيث نجد في كل منهما نصف من تصلب المساواة والعقلانية النسبية اما العدالة التبادلية فتعرف بانها ذلك التبادل بين الافراد فهي تقوم على المساواة الرياضية البحة بحيث ان هذا التبادل العادل يتحقق عندما يكون للشئيين المتبادلين نفس القيمة اما العدالة التوزيعية التي تفترض ان البشر غير متشابهين في أوضاعهم الاجتماعية ومواهبهم واستعدادهم وفي هذه الحالة من غير الانصاف توزيع مكافئات او تعويضات او أجور متساوية على رجال غير متساويين فالعدالة التوزيعية تقوم على مبدأ الاستحقاق أي لكل حسب ما يستحق فالعدالة التوزيعية مفهوم وسياسي قانوني اجتماعي يشير الى نوع من المساواة الغير المطلقة حتى يعطي كل انسان ما يستحقه وما يحتاجه كما ان العدالة التوزيعية ليست تكافئ الاختيار .الاشرار فمفهوم العدالة التوزيعية يتضمن فكرة اللامساواة او كذلك النسبة في توزيع الخيرات والمكافئات على الناس حسب كل وضعية²

وقد وضع كل من افلاطون و ارسطو مفهوم العدالة التوزيعية بحيث .يميز .افلاطون بين نوعين من المساواة المتعلقة بالعدالة التوزيعية اما المساواة الأولى فهي التي يعطي الناس حصص مساوية والتاملية وهي التي يعطي الحصة الكبرى لمن هو اكبر والحصة لصغرى لمن هو اصغر هذه هي المساواة الحقيقية إعطاء كل على قدر طبيعته اما ارسطو في تفسيره لمفهوم العدالة التوزيعية هو يشير الى فضيلة العدل الذي يعتبره احتراماً للقانون وسعياً الى المساواة وصل ارسطو الى تحديد العدالة كمفهوم حقوقي من جهة مساوي من جهة أخرى كما وقد ميز ارسطو بين العدالة التوزيعية والعدالة الإصلاحية اما العدالة

¹مراد وهبه المجمع الفلسفي (القاهرة دار قباء الحديثة للطباعة و النشر طد 2007) ص 412

²عبد الوهاب الكيالي موسوعة سياسية مرجع سبق ص 18

التوزيعية مبنية على المساواة غير مطلقة وبالأحرى نسبة فتوزيع المهام والمكافآت يجب ان يتم وفق استحقاق كل فرد من افراد المواطنين ومساهمته الاجتماعية العدالة اذن تعامل افراد غير متساوين بطريقة متساوية او غير متساوية والعدالة المتساوية لا تتم الا بين اشخاص متساوين فعلا فلا مساواة عندما تتعلق بافراد غير مساوين فائنا هي عدل

اما العدالة الإصلاحية او التعويضية فهي ترجع الى القضاء الذي يتولى .بتعويض المظلوم في الظالم وذلك اما في المعاملات الارادية او الناشئة كمرکز إرادة الطرفين كالبيع والشراء واما المعاملات الغير كالسرقة والاعتداء ويدخل في العدالة التعويضية احترام الأشخاص واحترام الحق والوفاء بالوعود والتعهدات والعقود والاعترافات بالجميل والاتصاف.¹

السيادة

ان كلمة السيادة حديثة العهد والاستعمال ودخلت في لغة القانون والسياسة للتعبير عن صفة الاستقلال التي تختص بها الدولة المعاصرة ويبقى اشتقاق هذه الكلمة دو مصدر لا .في.الوسطى وهي .بمعنى الاسمى أي السلطا العليا وتعني هذه الكلمة في القانون الدستوري السلطة السياسية الاصلية التي تستمد منها شرعية مبدئها وقوة نفاذها سائر السلطة القائمة في الدولة ادا كانت السيادة تعني السلطات العليا فمادا تعني عند جون جاك روسو²

يربط جون جاك روسو السيادة بالرادة العامة ويرى ان العقد الاجتماعي يمنح الدولة سلطنا مطلقا على جميع أعضائه وهذه السلطة نفسها الموجهة بدورها من قبل الرادة العامة تسمى سيادة حيث يقول روسو³ انما ان السيادة ليست غير ممارسة الإرادة العامة فانه لا يمكن ان يتنازل عليها وان السيد الذي ليس سوى كائن اجتماعي لا يمكن ان يمثل بغير نفسه فالسلطان لا للإرادة العامة لان هذه الأخيرة هي التي تمارس السيادة وعليه لا يمكن التنازل

² عنمون مسعود التأسيس الفلسفي في فكرة حقوق الانسان عند وروسو (مذكرة لنيل لشهادة الماستر في الفلسفة) جامعة الاخوة منتوري قسنطينة² كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية قسم الفلسفة 2008 ص 84
³ جون جاك روسو العقد الاجتماعي مصدر سبق ذكره ص 51

عن السيادة من قبل الإرادة العامة باي شكل من الاشكال لان هذا يخاف المبدأ الذي جاء من اجله العقد الاجماعي الذي يقوم على حكم الجميع من قبل الجميع والذي جاء ليحمي¹ الحقوق² واهمها المساواة وبالتالي اذا تم التنازل في السيادة من قبل الإرادة العامة سيجعلها تقع في قضية الإرادة الخاصة

ادن فالسيادة لدى روسو لا تقبل التنازل حيث لا يمكن فصلها عن صاحبها كما انها لا تقبل التقسيم للذات السبب الذي لا تقبل التجربة من اجله كما هؤلاء .بعد ان قطعوا الكيان الاجتماعي أجزاء بسحر جدير بالسوق جمعوا بين هذه الاجراد بما لا نعرف وقع.

وتجد الإشارة ان من خصائص السيادة عند روسو ان تكون واحدا كما ان تكون السلطة مطلقة حيث يقول اذا كانت الدولة لا تعد غير شخص معنوي تقوم حياته على اتحاد أعضائه وادا كانت سلامتها الخاصة اهم .ما يعني به وجب ان تكون لها قوة عامة قاهرة لتحريك واعد الكل قسم .على اكثر الوجوه الملائمة للجميع وكما ان طبيعته تمنح لكل انسان سلطة مطلقة على جميع أعضائه يمنح الميثاق الاجتماعي الهيئة السياسية سلطنا مطلقا على جميع أعضائه أيضا وهذه السلطة نفسها وهي التي تواجهها الإرادة العامة تحمل اسم السيادة فجسم سياسي الدولة يتوقف بقاءه على اتحاد أعضائه ومن اجل حمايته وجب ان تكون للإرادة العامة سلطة مطلقة توجه بها الدولة ككل بغرض المنفعة العامة وهذا ما اسماه روسو بالسيادة

كما يقول ومن ثم يرى ان السلطة السيدة المطلقة المقدسة المبرمجة كما هي لا تتجاوز ولا يمكن ان تتجاوز حدود العهود العامة وان كل انسان يستطيع ان يتصرف تصرفا تماما فيما ترك من أمواله وحرية بهده العهود فلا يحق للسيد مطلقا ان يحمل احد.اكثر مما يحمل الاخر وذلك لان الامر يصير خاصا هنالك فيعود سلطانه غير دي اختصاص أي ان

²مصدر نفسه ص 57

الشعب السلطة المطلقة ولا يمكن ان يتجاوزها لانها تستمد قداستها وتسرعيتها بموجب العقد الاجتماعى هذا العقد هو عهد بين الجميع والذي سوى بين الجميع لانه بين من احد ان يكون لاحد سلطته على احد بل للجميع السلطة المطلقة ويحق لهم التصرف في حقوقهم التي تنازلوا من اجلها وتعاهدوا¹

المساواة اذاعنا إلى تاريخ وجود المساواة فستجده موجود منذ العصور القديمة اي أنه وجد مع وجود الإنسان الاول حيث ان الحالة الطبيعية للإنسان ميزتها المساواة الكاملة وهذا ما نجده عند أصحاب العقد الاجتماعى فمنذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا لا زال مفهوم المساواة في تطور سعيا لإقامة المساواة حقيقية و عادلة و لمفهوم المساواة ضريان مادي و معنوي اما المساواة تالمادية فهي تعادل للافراد في ثرواتهم ومختلف ظروفهم الواقعية واهما الهنوية فهي تساوي الافراد في الحقوق فيكونو سواء أمام القانون والوظائف العامة لا يفرق بينهم الحسب ولا النسب ولا الجاه ولا المال وإنما يعاملون حسب كفايتهم و إستحقاقهم في مساواة قانونية سياسية و المساواة قررتها الديانات السماوي المذاهب و النظريات الفلسفية و الاجتماعية <<³² ففي العصر اليوناني و خاصة مع أفلاطون الذي يرى ان المساواة داخلية في اللامساواة ذلك ان الطبيعة بذاتها لم تساوي بين البشر >> أفلاطون أن اللامساواة بين الاوضاع الغير متساوية إنما هي اللامساواة أما المساواة الحققة و الأفضل فهي جميع الاحوال مصدر للخيرات يرصد منها نصيب أعظم إلى من كانت أعظم قيمته أعظم ونصيب اقل إلى من كانت فيمته أقل مع مراعاة ما يناسب كل واحد وما تستحقه << وهكذا في المساواة عند أفلاطون و سنتنقل من المساواة الأفلاطونية إلى المساواة الروسية .

¹ محمد فضل الحمد اسماعيل رواد فكرة الفكر السياسي الغربي الحديث مرجع سبق ذكره ص 88

³ ابراهيم مذكور المعجم الفلسفي (القاهرة الهيئة العامة للشؤون المطابع الاميرية 1983) ص 183

إن روسو يركز على مبدأ المساواة إذ يعتبر روح العقد الإجتماعي فإن لم يتعلق العقد الإجتماعي مع حكم العقل و مبدأ التبادلي فإنه يكون باطلاً إن تحقيق مبدأ المساواة بين الناس في المجتمع يأتي من خلال إرتباط وذلك بميثاق و هذا الأخير يسوي بين الناس قاطبة من الحقوق و الواجبات إذ ان روسو يدعم فكرة التعاون بين الناس حيث أن المجتمع الحر هو الذي يتكون من اعضاء متساوون فيما بينهم مجتمع يعتقد كل الناس على بعضهم البعض.

المواطنة

المواطنة مصدر رباعي مشتق من فعل وطن على لالمطر وو أضمر أن يفعله معه ومن مرادفاتها "وطن - يطن بالمكان " اقيم فيه ووطن نفسه على المر هيأها لفعله وحملها عليه إستوطن البلد اتحده وطنا توطنت على كذا حملت عليه

المواطنة هي علاقة الرابطة بين الدين و الدولة التي يسقر فيها و ينتمي إليها عاطفيا ووجدانيا كما يحمل حنسيته و كل ما تستوجبه هطذه العلاقة من ممارسة فعلية للحقوق و الواجبات على ارض الواقع وفي جميع المحاولات السياسية و المدنية وافقتصادية و افجتماعية¹

المبحث الثاني :

العقد الإجتماعي عند توماس هربز :

لقد عاصر صارع توماس هربز الحرب الأهلية الإنجليزية كما يتجلى في تاريخه منه 1666 ، وقد كان لهذا الحرب الأثر البالغ في مساره الفكري ، حيث حاول أن يضع حد

الإمكانية الحرب لأهلية ، فما كانت فلسفة هربز السياسية إلى محاولة لتعويض وتحسين كثر إسمه الحرب ، فالحرب أولاً مبدأ الإجتماع الإنساني في أصله ، لأن القوة أو العنف معطى

¹أندر لالاند الموسوعة المسيرية في الافكر الفلسفي و الاجتماعي ص 488.

أنطولوجي حقيقي لابد من التعاطي معه عند كل بحث في الإجتماع الإنساني ، وتبين التجربة الفارغية الإنجليزية أن الحرب خطر ومرض لابد من سماء الجسر السياسي منه ، لأنه يهدد وجود الإجتماع ولذلك لا بد من تفويض الناس أمرهم إلى ولي يدفع بعضهم عن بعض داخليا وعن جمعهم كل عدو خارجي بمعنى أن فكره الإجتماع لدى هربر¹ قد إستوحها من الظروف التي عايشها ومن ضرورة مواجهة الحروب والحد منها .

ولهذا فقد وصف هربر الطبيعة البشرية بشكل سوداوي لا فرق بينهما وبين حالة الحرب، فرأى أن الجنس البشري جشعا وعينا وشرسا وتنافسيا² وفخورا بنفسه إلى حد المبالغة ، وهذا مبرر لوجود الدولة لتأمين بيئة مستقرة لمنع الحرب من قبل الجميع ضد الجميع .

طالما ، وأن أفكار الصواب والخطأ ، والعدل والظلم لا مكان لها ، حيث لا سلطة مشتركة ولا وجود للقانون ، وحيث لا قانون لا ظلم ، إن القوة والغش هما في الحرب الفضيلتان الرئيسيتان ، أي أنه في حالة الطبيعة الأولى والتي تسببها هربر بالحرب لا توجد معايير منطقية أو أخلاقية أو قانونية تحدد العلاقات الإجتماعية وتضع الحدود بين الناس فالمعيار الوحيد هو القوة التي تمكن الإنسان من الإنتصار وحفظ بغائه .³

ففي كتابه اللوفيتان يعتبر هربر أن الحالة الطبيعية هي حالة غياب السلطة أي نمط العيش الذي لا بد أن يسود إذا لم تكن هناك قوة عامة قادرة على بث الرغبة في قلوب الناس ، ويصفها بأنها حالة الفوضى وحالة صراع بين الأفراد وذلك لتساوي قدراتهم الجسدية والذهنية ، وهذه المساواة تجعل للجميع نفس حقوق الطبيعة وبالتالي توجب الصراع بسهم حيث يقول : " إن الطبيعة جعلته البشر متساويين في ملات الجسد والفكر .⁴

¹توماس هربر (1588 - 1676) فيلسوف إنجليزي تلقى تعليمه في جامعة أكسفورد عمل عند فرانسيس بيكون كاتبا ومعاونته لأي نقل في مقولاته إلى اللاتينية ، من مؤلفاته مبادئ القانون الطبيعي والسياسي التنين أو اللغيتان في الجسر في الإمتنان (كميل إلحاح)

²صالح مصباح ، الفلسفة الحديثة الليبرالية من هربر إلى كانط ، جداول النشر والتوزيع بيروت ، لبنان ، ط 1 2011 ص 38 - 41

³توماس هوبز انتقيا تان الأصول الطبيعية و السياسية لسلطة الدولة تر ديانا حبيب حرب 2- توماس هربر اللقائات الأجول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة ، تر ديانا .. حرب وبشرى صعبة ، هيئة أثر طبي للثقافة والتراث ودار العرابي ، بيروت ، ط 1 2022 ص 136

صالح مصباح مرجع سبق ذكره ص 47 .

من هذه المساواة في القدرة تنشأ مساواة في الأمل بتحقيق الغايات لذلك إذا رغب شخصان بشيء واحد لا يقدران على الإستمتاع به كلاهما ، فإنهما يصبحان عدوين ، وفي طريقيهما إلى غاياتهما (وهي بشكل أساسي حفظ نفسيهما ، وأحيانا تكون مجرد اللذة). يحاول كل منهما تمديد تدمير وإخضاع الآخر¹ ، فشعور الأفراد بالمساواة يولد الصراع والتنازع يسهر بسبب عدم الثقة والرغبة في التنافس أو اللذة الشعور بالقلق والجد وهي غريزة في الإنسان وهذا ما وضحه في كتابه اللوفيتان .

حيث كانت الإنسانية في حالتها الطبيعية الأولى تصل عنيف لا ينقطع الحرب بين أفرادها ، فلايلوفون للسلم طعما ، لا يتفكون وتيفاتلون وينظر كل فرد إلى الآخر نظره ملؤها. الخوف والشك ، ما يضطر هزال التعاهد والتعاقد فإتفق الجميع على أن يتنازل كل إنسان عن جزء من حريته المطلقة لتصبح مقيدة بصالح المجموع وأن يحدد مطالبه ولا يحاول الظفر بكل ما يشتهي ، هذا التعاقد بين الأفراد هو أساس الإجتماع والقاعدة التي تقوم عليها الدولة ، وهذا ما عبر عنه في قوله إلا أن الإهراء التي تجعل الإنسان جميل إلى السلام هي الخوف من الموت ، والرغبة في الأشياء الضرورية لحياة مريحة ويطرح العقل بنودا مناسبة للسلام قد يتوافق الناس عليها ، هذه البنود ما يسعى بقوانين الطبيعة² ، أي الإنسان كانت تحكمه غريزة حسب البقاء هذه الغريزة التي إنقضى أن يكون بموجبها الإنسان ذنب الإنسان لأحبه الإنسان وأن الكل في حرب ضد الكل وأن الحاجة والشور بالقوة خلفية النزوات الأنانية في الظفر بخيرات الأرض تماما مثل الأقسام المتوحشين والحيوانات ، نفس الغريزة هي التي دفعت بالأفراد إلى التعاقد من أجل الأمن والبقاء .³

¹توماس هربز مرجع سبق ذكره ص 132

²أحمد أمين رزكي نجيب محمود ، القصة الفلسفة الحديثة ج1 لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ط 1 ص 91

³توماس هربز مرجع سبق ذكره ص 137 .

ولهذا يرى هربز أن الطبيعة الإنسانية تشتمل إلى العقل إلى جانب الهوى ، والعقل المستقيم يحمل الناس على التماس والرسائل لحفظ بقائهم أفضل من أساليب العداوة ، فتنشأ أو قاعدة خلفية ، وهي وجوب طلب السلم فإن لم نفلح في تحقيقه وجب التوسل إلى الحرب ، وشرط السلم أن يتنازل كل فرد عن حقه المطلق في الطبيعة إلى السلطة مركزية . قد تكون فردا وقد تكون هيئة تجمع بين يديها جميع الحقوق وتعمل لخير الشعب ، فتحل الحياة السياسية محل حالة طبيعية ، هذا التعاقد يلزم الصدق والأمانة والعرفان الجميل والتسامح والإنصاف ، وفض الخلافات بالتحكيم ورفع الشعار المعروف : لا تصنع بالغير ما لا تريد أن يصنع الغير بك ، يبدو أن الحياة المدنية التي أرادها هوبر تقوم على أساس القانون الأخلاقي الذي ينبغي من الضمير أو العقل كون الإنسان كائن يتميز به فيهديه إلى الطريق¹.

للعيش والأمن والسلام عن طريق الإلتزام والتعاهد أفضل من تلك التي كان يعيشها قبل الإجتماع والتي تحكمها قوانين الغريزة والعدوان والأنانية بمقتضى الحرية .

يبدو أن التعاقد الإجتماعي لا يتوقف إلا عندما توجد حكومته فعالة تعاقب من يخل بعهده وإلتزامه فالمواثيق بلا سيف هي مجرد كلمات ولا قوة لها يمكن أن تؤمن بها الناس من نشر الناس ، وهذا ما وضخته هربز في قوله : "إن المسألة ليست مسألة وعود متبادلة ، حيث لا ضمانات² لإنجاز أي من الطرفين عملة ، كما حين يكون أحد الطرفين هناك سلطة مدنية قائمة قرق الأطراف التي تعده فإن هذه العوادة ليست عهدا ، ولكن حيث يكون أحد الطرفين قد أنجز وعده بالفعل أو حيث توجد سلطة تلزمه بأن ينجزه معنى هذا أن هربز يرى أن

¹ ويوسف كرم تاريخ الفلسفة الحديثة من القرن الخامس عشر حتى بداية القرن العشرين منشورات البندقية للنشر والتوزيع القاهرة ط 2018 ص 65

² محمد وقع الله أحمد مرجع سبق ذكره 83

التعهد بالتنازل عن الحق الطبيعي في استخدام القوة لا يكون بالكلمات لأنها قابلة للتراجع بل لا بد أن يكون العقد في إطار الدولة القريبة¹ .

ويسمى هربز الدولة بالتتي الجبار لأنها تبتلع في جوفها كل الأفراد الذين تنتمي شخصيتهم وإرادتهم أمام شخصيتها وإرادتها ، فالدولة عند هربز في كل شيء فلا دين إلا ما ترضاه الحكومة² ، ولا حقيقة إلا ما ينادي بها السلطان إذ الإنسان الطبيعي لا يعرف إلا أنانية مخصصة ، فالخير عنده هرما يريده ويرغب فيه ، والشر هو ما يضره وما يؤذيه ، إذا كانت الدولة هي مصدر الدين والأخلاق جمعناها وحدها حتى الإسراف عليهما ، بمعنى أن الإنسان تسرير وأناني بطبيعته ولأنه كذلك فلا يمكن أن يكون مشروعاً ولا مشرفاً للقوانين والقيم الأخلاقية بمفرده بل في إطار المجموع أو الدولة الغربية .

فتكون إرادة الجميع خاضعة لفرد واحد منهم تتمثل في شخصه الدولة كلها ، وتكون إرادته هي القانون النافذ ، وليس الصواب والخطأ والخير والشر والفضيلة والرذيلة إلا ما تردده هذه القوة الحكومة .

ويسجل أن يولد النظام في جماعة ، وأن يطرد لها تقدم ورقي إلا إذا وقر في نفوس الجميع أنهم يفيدون خيراً بإحترامهم لرئيسهم إلاعى و خضوعهم أي أنه³ لا يوجد مكان للسلطان الدين أو العرف التعابير الخلفية في الخلفية في دولة هربز فسلطة الحاكم هي السلطة المطلقة والأنظمة فوفقاً حتى ولو كان الدين .

¹توماس هير مرجع سابق ذكره ص 153 - 154

²أحمد أمين وزكي نجيب محمود مرجع سبق ذكره ص 92

²محمد وقيع مرجع سبق ذكره

³محمد وقيع الله احمد مرجع ذكره ص 160

فالكنيسة ورعاتها يخضعون جميعا خضوعا تاما للدولة بما أنهم رعايا للسلطان ، وعمالهم يتعدد في نطاق القضايا الروحية التي لا يأبه بها السلطان ولا يجوز للكهنة والقساوسة¹ أن يفرضوا أي عقوبة دينية ولو كانت رمزية على الناس ، وقد تغلت مناقشة القضايا الدينية نحو نصب صفحات كتاب الدين ليس لأهمية قضايا الدين عند هوبز وإنما جاء ذلك الإسهاب بقصد البحث عن أنجح السبل للإجهاض المطلق على نفوذ الكنيسة وإستتصاله من عمق الحياة المدنية ، وإلغاء العقوبات والأوامر الذاتية ، بمعنى أن الدولة هوبز تفضل سياستها عن الدين لأن الدين ظاهرة طبيعية أصلها الشعور بالضعف ، خاصة وأن التعليم الهوتي ساد طيلة القرون الوسطى وتعكم في جميع مجالات الحياة فكان فكر السلطان القاهرة بديلا عن حالة الفوضى والإضطراب .

ثانيا : العقد الإجتماعي عند جون لوك

لقد رفض جون لوك نظرية الحق الإلهي للملوك نهائيا مع منطوق مذهب التجريبي مؤكدا أنهم لا يولدون وفي دمائهم الحق الإلهي أو الفطري الذي يبررون به حكمهم المستند وطغيانهم لرعايتهم ، لأن الناس جميعا متساوون وأحرار منذ الميلاد ، لأنهم كذلك فلا بد أن يكون لكل إنسان.

نفس الحقوق التي يستمتع بها الآخر ، وعلى ذلك فلا بد أن يخضع الجميع لنفس القانون الذي أطلق عليه لوك القانون الطبيعي أو الفطري ، وقد كان رفضه للحق الإلهي للملوك وحا تلاتب عليه من تأكيد لمبادئ الحرية والمساواة هو المدخل الثوري لنظرية السياسية التي تركت أثارها الخطيرة على حركات التحرر التي حدثت في أوروبا القرن السابع عشر ، بمعنى أن المنطوق من نظرية لوك السياسية رفضه للحكم الدين المقدس فلا يوجد شخص

¹جون لوك (1732-1804) فيلسوف انجليزي و اقتصادي وكاتب سياسي دخل جامعة اكسفورد في العشرين وامضى فيها اربع سنوات متابعا الدراسات المؤدية الى الكهنوت ساهم في جميع الحركات الفكرية التي كان يضطرب بها عصره من مؤلفاته رسالة في التسامح رسالة في الحكومة المدنية رسالة في التربية

مفوض من الله ، يولد بالفطر مالك ، لأن الجميع متساوين أمام الطبيعة ، وبهذا فهو يعارض فكر العصر الوسيط ، فكانت فلسفته السياسية بمثابة فكر تنويري .¹

ولقد إبتدأ خلاف لوك مع هوبز من النقطة الأولى هي بالضرورة طبيعية والتعطش الحارق للقوة ، وأخذ حقنة عنوة ، والصراع الحاد مع الغير ، فإن لوك قد إفترض أنها حالة الحرية الكاملة التي تمكنهم من إتخاذ قراراتهم وتحديد سلوكياتهم وأفعالهم ، وإستخدام ممتلكاتهم كما يشاؤون في حدود قانون الطبيعة يمثله العقل² ، ذلك من غير حاجته إلى إستئذان أي شخص آخر . حيث يقول جون لوك لكي تتم السلطة السياسية على الوجه الصحيح يجب عليها أن نراعي الحال التي كان عليها الناس بالفعل وهي الحرية المطلقة في تسيير دقة أعمالهم والتصرف في ممتلكاتهم³ وأشخاصهم حسب ما يرونه موافقا لهم في نطاق قانون الطبيعة دون مطالبتهم بالتخلي عن شيء أو الإعتماد على إرادة أي شخص آخر حيث رأى لوك أن الحالة الطبيعية البشرية الأولى

كانت تقوم مبدأ الحرية والمساواة بين الناس حيث يسود الخير عكس هربز الذي صورها على أنها حالة من الحرب والعنف والصراع فكلها شر .

وقد وصف لوك حالة الإنسان الأولى بأنها كانت مثالية يسود فيها السلام الطائنية ، وكان مبدأ المساواة بين الناس الذي منحه الطبيعة لهم هو القاعدة الأساسية لمشاعر والإحسان⁴ ، والقيم بالواجبات وحسب الخير والتبادل المنافقي ، وقد عرف جميع الناس في ظل القانون الطبيعي مالهم من حقوق وما عليهم من واجبات نحو إحترام ملكياتهم الخاصة وملكيات الآخرين وحقوقهم ، أي أن مبدأ المساواة في الطبيعة الأولى منح الناس الشعور

¹ رأية عبد المنعم عباس ، أساطير الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، جون لوك إمام الفلسفة الجوبية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت دار 1996 ص 102

² محمد وقيع الله ، احمد مرجع سبق ذكره ص 166

³ جون لوك الحكومة المدنية ، محمود شوقي. الكيال ، مطابع شركة الإعزلائات الشرقية مصدر ، ط ، د ، ت ، ص 13

⁴ رأية عبد المنعم عباس ، مرجع سبق ذكره ص 106

بالمحبة والمؤاخاة والتعاون وإحترام ملكيات الآخر في نظر لوك بينما شعور الأفراد بالمساواة في الحقوق عند توماس يجعلهم في حالة صراع ورغبة في إمتلاك ما للغير من أجل الشعور بالقوة والغلبة .

وذلك ليس للناس بالطبع حق في كل شيء كما يزعم هوبر ولكن حقهم يتحصر في تنمية حريتهم والدفاع عنها وعن كل ما لا يلزم عنها من الحقوق حق الملكية وحق الحرية الشخصية ، أما حق الملكية فإنه حق طبيعي يقوم على العمل ،¹ لا على الحياة أو القانون الوضعي ، أما الحرية الشخصية ، فمعناها أنه ليس هناك سيادة طبيعية لا حر على الآخر ، حيث يقول لوك : "إذن فالأرض وما عليها من مخلوقات تصبح حقا مشاعا للجميع ، اي لكل فرد تصيبه وهذا الحق خاص به وحده وامتصل بذاته ، وهو يتمثل في الوظيفة التي يؤديها حسده ، والعمل الذي تتجزه يداه ،² وإذا هو يمزج ما وهبته إياه الطبيعة بجزء من ذاته مكونا بذلك ملكية الخاصة بمعنى أن الملكية التي تساعد على إستمراره وحفظه بقائه مشروط بحرية العمل عند لوك .

لكن حق الملكية والمحافظة عليها أصبحت من الأمور العسيرة في حالة طبيعية ، إذ جاء البعض عن حقوق جرائمهم³ ، وطمع الآخرين في أملاك البعض فتفتشت حالة إغتصاب الملكيات والإعتداء على الجوار ، وإنتشر الشعور باسخط والظلم ، والحسد والكراهية بين الناس وهكذا تحولت حالة الطبيعة الفطرية الأمانة إنتقال الإنسان من حالة السلام إلى حالة الحرب والعداوة التي لا تنتهي .

لذلك كان لا بد من أن يتفق الناس طوعية وإختيار على عقد " عقد إجتماعي " فيما بينهم يكفل الحياة الأمنية بين الناس⁴ ، وتعني فكرة العقد الإجتماعي تعاقدًا يضر طرفين هما

¹ يوسف كرم مرجع سبق ذكره ص 164

² جون لوك مرجع سبق ذكره ص 32

³ رأية عبد المنعم عباس ، مرجع سبق ذكره ص 108

⁴ إبراهيم مصطفى إبراهيم الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم. ، دار الوفاء لدنيا الطابعة والنشر الإسكندرية ، دط 2000 ص 283 .

الشعب والحكومة أو الملك ، لا يصبح العقد لاغيا إلا أجل أي طرف منهما بتعاقد ، لذلك تتنازل طبيعة العقد الموافقة.

من قيد الأفراد أو الأغلبية على التنازل عن جزء من حقوقهم الطبيعية الخاصة بالدفاع عن أنفسهم ومعارضته الخارجيين على القانون الطبيعي إلى المجتمع ككل ، بمعنى أن الغرض من الدولة الحفاظ على الحرية والملكية اللتين تكتسبان عن طريق العمل وعليه فالسلطة عقد إرادي ينشأ عن الرضا المشترك¹ .

يقول جون لوك : لا يبدو أن الدولة مجتمع بين البشر يشكل بهدف توفير الخيرات المدنية والحفاظ عليها وتنميتها ، وأنا اغنى بالخيرات المدنية الحياة والحرية والصحة وراحة الجسم ، بالإضافة على إمتلاك الاشياء مثل المال والأرض ، والبيوت والأثاث وماشبه ذلك ، فالغرض من السلطة صيانة الحقوق الطبيعية لا محوها لصالح الحاكم كما ذهب توماس هريز .

ولذلك قرر لوك أنه بمجرد إمضاء العقد الإجتماعي أنه لا بد أن تصبح أغلبية المواطنين مصدر السلطات السياسية ، وهذه الأغلبية تباشر عملية الحكم عن طريق إنتخاب نواب برلمانيين يتولوا شؤون الحكم وهذه الديموقراطي التمثيلية أو النيابية وهنا ميز لوك بين عملية صنع القوانين وعملية تنفيذها ، أما عملية صنع القوانين فهي أسمى أنواع العمل السياسي وتتولاها السلطة التشريعية وهي السلطة العليا في المجتمع السياسي ، وهي سلطة غير محدودة إلا بحدود قوانين غير طبيعية² ، وأهمها قوانين الحرية الملكية وهذه السلطة يجب أن تحاصر السلطة التنفيذية لكي لا تصبح أداة حكم فهي مجرد إرادة عامة يوكل إليها تنفيذ القوانين ، وحفظ الأمن ، وعاية حقوق الملكية، أما للسلطة القضائية فهي مجرد فرع للسلطة

¹جون لوك رسالة في التسامح ، دراسة منى أبو ستة ، تحقيق مراهية ، المجلس للثقافة الإسكندرية ط 1 ، 1997 ص 23

التنفيذية ،¹ وقد سعى لوك السلطة الفيدرالية بالسلطة الثانية في المجتمع السياسي وهي السلطة المختطئة بمباشرة علاقات الدولة مع المجتمع العالمي ، نفهم من هذا أن لوك أعطى بنظريته في العقد الإجتماعي الكلمة العليا للشعب وأعطى شكلاً لحكومته عن طريق تقسيم السلطات والفصل بينهما .

كما رأى لوك بضرورة الفصل بين الدولة والكنيسة ، لأن هدف الدولة الحياة الارضية ، وهدف الكنيسة الحياة السماوية ، ولما كان المجتمع المدني غير قائم على مصالح الكنيسة ، فليس للدولة أن تراعي العقيدة الدينية الدينية في التشريع ، ولا مجال للقول للدولة مسيحية ، وعلى الدولة أن تسمح لجميع أنواع العبادة الخارجية ، وتدع الكنيسة تحكم نفسها بنفسها فيما يتعلق بالعقيدة والعبادة ، فتسوح الحرية لجميع نواحي المجتمع المدني .²

وفي هذا يقول لوك أقول أنه من أجل هذا كله ينبغي التمييز بدقة ووضوح بين مهام الحكم المدني وبين الدين ، وتأسيس الحدود الفاصلة والعادلة بينهما ، وإذا لم تفعل هذا فلن تكون هناك نهاية للخلافات التي تنشأ على الدوام بين من يملكون الإهتمام بصالح التقوس بشر من جهة ومن يهتمون بصالح الدولة من جهة أخرى ، فغاية لوك من فضل الدين عن الدولة إنهاء الخلافات التي تنشأ بفعل التعارض بين ما هودنيوي فكانت دعوته قائمة على أساس التسامح الدين³ فتأدى بضرورة عدم إضطهاد الكنيسة لأي إنسان بسبب عقيدته إنطلاقاً من مبدأ الحرية خاصة وأن الكنيسة كانت تمارس التعسف والظلم في العصور الوسطى في حين أن غاية الدولة والكنيسة واحدة هي سعادة المواطنين .

¹ محمد ..واقيع. الله أحمد ، مرجع سبق ذكره ص 168 - 196 .

² كمال الجاح مرجع سبق ذكره ص 500

³ جون لوك رسالة في التسامح مرجع سابق ذكره ص 23 .

لقد شغلت فكرة العقد الاجتماعي فكر أذهان فلاسفة العصر الحديث ، توماس هوبز ، جون لوك جون جاك روسو نظرا بأهميتها في تنظيم حياة الناس وتحصرهم فأنقوا حول مبدأ العقد الاجتماعي لأنهم اختلفوا حول طريقة إستخدامها وجعلها هربز للحكم الملكي المنطق .

المبحث الثالث :

أولا :.جون حاك روسو ومؤلفاته ومنهجه

جون حاك روسو (1712 - 1778) فيلسوف وأديب فرنسي ولد في جنيف من رعايلة فرنسية الأصل ، كانت على المذهب البروتستانتية ، أرسله والده إلى أحد أصحاب المهن ، لكي يتعلم مهنة النجر على الخشب ، فأساد معاملته مما دفع روسو إلى الهرب من المدينة وهو في السادسة عشر ، وهام يمتهن شتى المهن في سويسرا وإيطاليا ، وبعد ثماني سنوات إلتقى في ساقوري سيد أمنت له بعض الإستقرار فأستطاع أن يتعلم الموسيقى واللغة الإنجليزية ، بعد أن قرأ معظم أعمال الفلاسفة ، وبعد خمس سنين قصد إلى باريس ثم غادرها¹ (هدرها إلى البندقية ، حيث عمل كاتيا لسفير فرنسا فيها ، وعاد إلى باريس وله من العمر ثلاثة وثلاثون سنة وأخذ يتردد على فلاسفة وخصوصها² "ديدرو" وفي صيف سنة 1749 قرأ إحدى الصحف أن أكاديمية ديجون تنظم مسابقة موضوعها ، هل ساهمت الفنون والعلوم على إنحطاط الأخلاق ؟ فأشترك المسابقة وكتب مقالة هي أصل كتابه الأول: "مقالة في العلوم والقانون " سنة 1750 فأحرز الجائزة واشتهر على أثر هذا المجال ثم أعلنت الأكاديمية عن المسابقة ثانية موضوعا .

ما أصل التقنيات بين الناس وهل هذا التفاوت طبيعي ؟ فكتب مقال في أصل التقنيات

بين الناس (1754)

¹ كميل الجاج مرجع سبق ذكره ص 206

² أميل برهية تاريخ الفلسفة ، تزد جورج طرابيشي ، ج5، ط2 ، دار الطلبة للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، 1953 ، ص 191 .

أما أهم مؤلفاته الأخرى فكانت رسالة إلى . المسرح (1758) وفي عام (1716) كتب في " العقد الإجتماعي " ، وأخيرا كتاب " إيميل أو التربية " (1762) .

لكن السلطة أنكرت الكتاب الأخير وهمت بإعتقال المؤلف ، ففر إلى سويسرا ولكن السلطة لها أنكرت أيضا الكتاب وطردته ، فلجأ إلى إنجلترا بصحبة هيوم ، ولكنه لم يلبث أن خصمة وعاد إلى باريس¹ فسمح له بالإقامة في فرنسا وقضي بقية أيامه في حالة مضمونة ، تفهم من هذه أن حياة روسو لم تكن سهلة وتميزت بالشقاء ، خاصة في ظل ظروف عصره² فهل كانت هذه الأخيرة هي منهر أفكاره ؟ وهل كانت وراء نظريته في العقد الإجتماعي ؟ بمعنى آخر هل العقد الإجتماعي عند روسو كانت مجرد نظرية أم أنها إنعكاس لواقع سياسي ؟

ثانيا : الأوضاع السياسية والإجتماعية في فرنسا وتأثيرها على روسو :

تعتبر الثورة الفرنسية من أهم الثورات الكبرى في التاريخ لأن تأثيرها لم يقتصر على فرنسا فحسب ، وإنما شمل كل أنحاء أوروبا والعالم ، وقد اندلعت في الرابع عشر من يوليو عام 1789 وإمتدت حتى عام 1799م حيث كانت فترة من الإضطرابات الإجتماعية والسياسية والتي أثرت بشكل بالغ على فرنسا خاصة وأوروبا عامة ، أي أن فرنسا شاعت ظروفها سياسية وإجتماعية مزرية أدت إلى قيام الثورة .

كانت المملكة الفرنسية ، التي تألفت من ولايات مستقلة في الماضي مختلفة بقوانينها وصعائبها وعاداتها ، وما قاربه الملوك من الجهود ومنهم لويس الرابع عشر ولم يؤدي إلى وعدها تماما ، وعدا .

¹ محمد وقبع الله أحمد ، مرجع سبق ذكره ص 223 ،

² عوض بالقاسم علي يونس دور فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية ، جامعة عين تسمى قسم الفلسفة كلية الآداب ، القاهرة ، مصر العدد 17 ، 2016 ص 2

هذه الأقسام المادية كانت الأمة الفرنسية مؤلفة من ثلاث طبقات ، أي طبقة الاشراف ، وطبقة الإكليروس والطبقة الثالثة ، وتمسك الفطام السابق بسياسة التوين بين الطبقات ، لإعتبار ذلك سرا من أسرار قوته ، أي أن النظام الاجتماعي في فرنسا كان يقوم على التمييز وكان ذلك يسبب في تقسيم فرنسا على دويلات وتقسيم شعبها على ثلاثة طبقات من طبقة النبلاء وطبقة رجال الدين الذي كان لهم إمتيازاتهم الخاصة وطبقة الفلاحين الفقراء¹ .

وفي ظل النظام الإقطاعي كان إستقلال الفلاحين المصدر الاساسي الذي يغذي طبقة ملاك الأراضي المسيطرة والدولية الإستبدادية ، فمن تعب الفلاح وكدحة كانت تعيش طبقة النبلاء وطبقة رجال الدين صاحبة الإمتيازات ، وعلى حساب الفلاحين كانت الدولة تنفذ سياستها الداخلية والخارجية المسخرة أساسل لخدمة مصالح النبلاء ، وجزئيا لخدمة المصالح المتنامية للصانعين وكبار التجار² .

معنى هذا أن المجتمع الفرنسي كان يقوم على الظلم والإضطهاد وإستغلال الفلاحين هذه الطبقة المستضعفة التي تشمل غالبية الشعب من قبل النبلاء ورجال الدين³ .

وعلى الرغم من إنتقال جزء من الملكية العقارية في القرن الثامن عشر أياد النبلاء إلى ايدي ممثلي الطبقة الثالثة ، ولكن كان الفلاحون اليسرون لا يزيد تعدادهم على حفنة ضئيلة ، فقد كان عدد الفلاحين الفقراء بالمقابل .بالصراة ، كما كانت أوضاعهم تتقاهر ةتزداد سوءا يوم بعد يوم .

هكذا كانت القوة الفرنسية عشية الثورة ، تغطي بالفقراء والمعوزين الذي لا عمل لهم في الحكومة عليهم بالبقاء على الهامش النظام الإقتصادي ، وكانت قلوبهم تفيض بالمشاعر السخط والغضب ، لم يكن الأمر يختلف في المدن ، فالعمال الأجراء في ذلك الزمن كانوا

¹توماس هربس ، اللعبيئات ، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة ، وديانا حبيب حرب وبشرى صعب ، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث دار القواني بيروت ط 201 ص 136 .

²غرستبرنرف لوبوان روح الثورات والثورة الفرنسية .

يعانون من أقصى أنواع الإستغلال ، والعاجزون عن الدفاع عن مصالحهم لإفتقارهم إلى أي تنظيم .

يصعب تصور الحياة في المملكة الفرنسية وخاصة حياة الفلاحين الحقيقية ، حيث كانوا يعيشون في كآبة وبؤس وجوع ولعل أبرد حررة نشرت في تاريخ الثورة الفرنسية بعنوان بؤس الفلاحين أيام لويس الرابع عشر كانت تروي تلك الصورة عن رجل يقاتل الكلاب ليخطف منها عظاما لحم منعه ،¹ وبجانبه باءس يشد احشاءها من الجوع وأمره ترعى شعبها وأناس القرا إلى الأرض واصبحوا كالأموات ، نفهم ان هذه الأوضاع ما هي إلا تمهيد حتمي للإنتقال والثورة لشدة الظلم والقهر الذي لاقاه غالبية المجتمع الفرنسي والذي تمثله الطبقة الثالثة .²

وقد كان يجول في فرنسا جيوش ثورية مؤلفة من قطاع الطرق واللصوص ناهية قاتلة، فقال أحد شاهدي هذه الاحداث ، عندما قطع الناس مجهولون في بيداون التي كان يسكنها ألفا نفس - هدم فيها 433 بيتا وقطع رؤوس 16 شخص من سكانها بالمفصلة وقتل منهم 46 شخصا رميا بالرصاص ، وطرد من بقي منهم فأظطروا ليعيشوا إلى قطع السيل في الجبال وإلى نحت الكهوف ليكون لهم بيوتا ، كما وردت تفاصيل المذابح في جريدة المونيتور ، فقد نشرت شهادة أحدهم "توما" في العدد الصادر في 22 من ديسمبر 1894 والذي شاهده بعد الإستلاء على نوار موتيار ، رجلا ولا نساء وشيوخا يحرقون أحياء ، ونساء وبنات يقل عمرهن عن خمسة عشر سنة يقتلن بعد إنتهاك أعراضهن . وأولاد يبقرون بالحراب يطرحون على الألواح بجانب أمهاتهم ، أي ان الأوضاع المزرية تقتصر على الإستغلال والظلم والجانب الاقتصادي بل تعدت على إرهاب الأرواح والتعذيب والإضطهاد.

¹ فوليجون مرجع سبق ذكره ص 14 - 15 .

² غوسفان لوبون مرجع سبق ذكره ص 92

كما يبقى الحكم الإستبدادي الفرنسي في القرن الثامن عشر قائماً على القول بلا محدودية السلطة الملكية لأنها مستمدة مباشرة من الله ،¹

فسلطة الملك على الأرض توازي سلطة الله في السماء ، وما الملك إلا صورة الله الحية ووكيلته على هذه الأرض ، ولم تكن إرادة الملك تعرف من حدود ...، أما الرغبة فعليهما طاعة هذه الإرادة دون غعتراض ، ومصالحهم خاصة خضوعاً مطلقاً لداوي المصلحة العليا ، معنى هذا أن النظام السياسي الذي كان سائداً في فرنسا كان نظاماً إستبدادياً ظالم يستمد قوته من الدين ، وهذا ما سيزيد الأوضاع سوءاً نتيجة إعتلاء رجال الدين المناصب العليا أو الإهتمام بمصالحهم الشخصية على حساب عامة الشعب الذي كان يعاني الويلات ، والتي ستعمل على تفجير الثورة .²

وجاء قائد الحركة بأراء وتعاليم ونظريات حديثة بالنسبة لقيام المجتمع وبطوره ، هذه الأراء سرعان ما إنتشرت في أوساط المجتمع ، والرواد الذين تحملوا أعباء نشر هذه الافكار الجديدة هم جماعة المتقلبين الذين درسوا هذه الأفكار والنظريات ، وآمنوا بها وعملوا على نشرها بعد أن صاغوها بأسلوب مبسط بحيث تستوعب ذلك الجماهير الأوروبية وأشهر هؤلاء المفكرين هم من فرنسا منهم مونتيسكيو وفولونير جون جاك روسو ، هذه الظروف السياسية والإجتماعية المرونية في فرنسا إحتاجت لتغييرها والثورة عليها الا وعي وتقوير الشعب فكانت أفكار فلسفته التنوير الحاضرة الذي دفع بهم للقيام بثورتهم العامة³

وقد كان فيلسوفنا الفرنسي جون جاك روسر الأثر الواضح في إشتغال الثورة الفرنسية وإثارة حماس الشعب الفرنسي بل والعالم، فهي مقال " هل ساهم توطيد العلوم والفنون في تطهير

¹ غوستاف لريون ، مرجع سابق ذكره ص 139 - 138

² فلغارين مرجع سبق ذكره ص 17

³ برنارد راسل حكمه غرين في عرض الفلسفة العربية في إطارها الإجتماعي والسياسي ، كرفراند زكريا بالمجلس الوطني ، للثقافة والكتاب ، ط 2

1983 ص 62 .

الأخلاق (1750) ¹نجده ينتقد حضارة عصره بدفاعه عن الفقراء والمحرومين ، ويرى أن الترف يغذي ألف فقير في المدن ويميت ألف من القوى ، وهاجر الملكية في طريق مبدأ المساواة ن فجميع الفوارق الاجتماعية التي تفرق بين الناس في باريس غير معترف بها في مجموعته ، فمعاصرته لهذه الأوضاع ساهمت في بلورة فكرة الذي ينطلق من نقد أشكال الظلم والاستغلال والطبقية والإستبدال من خلال نظريته في المساواة التي أعادت للإنسان شعوره بأنه ذو قيمة .²

لقد كان الأفكار جون جاك روسر التأثير الواضح على عقلية الشعب الفرنسي أثناء الثورة من خلال تسليط الضوء حول مسألة مهمة ألا وهي الحرية التي كانت مغيبنة في فرنسا إبان النظام القديم ، الذي ينتج الإستبداد بالحد من حرية المواطنين ، ويفضل جزن جاك روسو حل هذه المشكلة من خلال أفكار عن الإرادة العامة ، حيث أن روسو أراد الإصلاح السياسي لأوضاع مجتمعه التي عارضها وإخراجه من ظلامه الدامس وسبات شعبه العميق وذلك من خلال نشر الوعي والتنوير وعبر عن ذلك بنظريته في العقد الاجتماعي .

¹ . عوض بلقاسم علي يونس ، مرجع سبق ذكره 14 - 15

² المرجع نفسه ص 16

الفصل الثاني

أسس نظرية العقد الإجتماعي

المبحث الأول الحالة الطبيعية و سماتها

1 - مفهوم الحالة الطبيعية

2 - مميزات الحالة الطبيعية

المبحث الثاني الحالة المدنية سماتها

1 - مفهوم الحالة المدنية

2 - مميزات الحالة المدنية

المبحث الثالث أهمية العقد الإجتماعي لضمان إستمرارية الدولة و إستقرارها

1 - المساواة السياسية

2 - المشروع الديمقراطي للدولة حسب روسو

المبحث الرابع دور التربية في بناء وتكريس المواطنة الحقة عند

الفصل الثاني

المبحث الأول : الحالة الطبيعية ومميزاتها

1- مفهوم الحالة الطبيعية :

هي تلك الحالة الفطرية التي كان عليها الإنسان البدائي والتي عاش فيها الإنسان قبل أن يجتمع ويتفق مع الآخر ليدخل بذلك في مرحلة العقد الإجتماعي التي تلي المرحلة الطبيعية ، تعتبر فرضية الحالة الطبيعية في أواخر القرن 18 نقطة مشتركة في الفلسفة كل من توماس هوبر (1588 - 1679) وجون لوك (1632 - 1704) وجون جاك روسو (1712 - 1778) وحتى مكيا على قبلهم آمن بها وقد إعتد فلاسفة العقد الإجتماعي على هذه الفرضية فكانت المنطلق الذي إنطلق منها في بناء تفكيرهم ونظريتهم في السياسة ، رغم أن الحالة الطبيعية كانت منطلق هؤلاء الفلاسفة إلا أنهم إختلفوا في وصفها ، حيث نجد أن توماس هوبس قد وصفها بأنها حالة القوة وهي حرب الكل ضد الكل وأكد ذلك في كتبه كتابة الموسوم ب " الليفياتان"¹ بقوله : " هي وضعية حرب ، حرب إنسان ضد كل إنسان " .

فحسب هوبس فالحالة الطبيعية تتمثل في العوضه والعشوائية أما عند لوك فهي ليست كما وضعها هوبر والتي تمثل الشر بالعكس لوك يصف الحالة الطبيعية بأنها حالة خيرة وقد تميزت بالحرية المساواة المطلقة فهي طور من. الحرية² والمساواة التأمين بين جميع البشر فيقول لولا في هذا الشأن "أنهم جميعا مساوون وأحرار" كما يقول أنها حالة صالحة يتمتع فيها الأفراد بحريتهم وبالمساواة ، وكان ينظمها قانون أسمى كل القوانين المدنية وهو قانون الطبيعة

¹توماس هوبر اليفياتان ، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة دولة ترديانا حرب وبشرى ط1

²جون لوك في الحكم المدني ومجد فخري لبيروت اللجنة الدولية لترجمة 1909 ص 140.

أما إذا إنتقلنا إلى جون جاك روسر فتجده لا يتوافق مع هذين الفيلسوفين في وصفه لهذه الحالة الطبيعية فهو لا يرى بأنها حالة شركما عند هوبز ولا بأنها حالة خيركما عند لوك كما عند روسو لا يؤمن بهذه كحقيقة ، تاريخية مثل لوك وهوبز ولكنه إتخذها "كحالة إفتراضية ضرورية للتوضيح يعرض الإمتناء أو للتقويم الصحيح للوضع الذي نحن فيه " أي للوضع السياسي ، وقد تتمكن من معرفة

هذه الحالة الطبيعية والدلك العودة إلى مميزاتا .

2 مميزات الحالة الطبيعية :

يرى روسو أن الإنسان الطبيعي كان يعيش في حياة مليئة بالسعادة والحرية وحسب غرائزه الخير وميولته البسيطة ، فكان يعيش متوحدا دون حاجاته إلى بني جنسهه ، فلم تكن تجمع سهم وبينهم ، هي علاقة سواء إجتماعية أو إقتصادية أو غيرها فالإنسان في تلك الحالة " كان متوحدا في العاب ، لا يعرف أهله ، وأهلية لا يعرف أولادهم لا لغته لهم ولا ضاعة ولا فضيلة ولا رذيلته من حيث أنه يكن له مع أفراد أنواعه أيه علاقة يمكن أن تصير علاقة خلفية¹ ، كما أنه الإنسان الطبيعي عند روسو ذو ميزتين طبيعيتين " دافع طبيعي لحفظ الذات وكذلك عدم الأضرار بالآخرين فكان الناس في سعيهم وراء حاجاتهم الأساسية لا يوقعون الضرر والأذى بالآخرينكونهم كونهم مقطورين على الرحمة والتعاطف فالناس في تلك الحالة عاضوا أحرار ، أصحاء صالحين وسعداء توقفهم مع طبيعتهم " كما أن الأفراد في حالتهم الطبيعية لا يفكرون الأي المعاصر فهم يعيشون فقط من أجل حاضرهم ولا يملكون خطة عقلية لمستقبلهم " فكانت أمراء الإنسان البدائي محدودة ، لذلك فإن عندها ضئيل ونشاطها ضعيف" فالإنسان الطبيعي كان يحيا حياة بسيطة خالية من التعقيدات

¹ يوسف كرم تاريخ الفلسفة الحديثة (القاهرة دار المعارف ط 1985) ص 202

وبعيدا عن أي منت أشكال العلوم ، والقانون والتقدم التي قد تؤدي به على الفساد وإنتشار الشرور¹ .

إن الإنسان الطبيعي حسب روسو كان يتمتع بالحرية الطبيعية التي لا يمكن أن يتنازل عنها أبدا ، فهو مستقل لا يقبل الخضوع لأية سلطة وكذلك هو حر في سلوكه العفوي التابع من الجوائز كما أن روسو يفترض أن الإنسان حالته الطبيعية لم تكن له مع أفراد نوعه أي علاقة كان حاصلها بسهولة على وسائل إرضاء حاجاته الطبيعية ولم يصب إلا القليل من الأمراض، وكلما كان يحتاج إلى الأدوية ظنه كان يتمتع بالصحة ، وهذا ما يؤكد روسو في رسالته أصل التقنيات² بين الناس إذ يقول : "الإنسان خاضعا لقليل من عقل الأمراض في حالته الطبيعية فإنه لا يكون محتاجا إلى علاقات إنن ، وأقل من ذلك إحتياجه إلى أطباء " فقد كانت إحتياجاته محدودة وليست بكثرة حياته بسيطة ، فلم يكن يفقه لا في العلوم ولا في القانون وكانت معرفته محدودة " فكل ما يعرفه في الكون هو الغذاء والأنثى والثوم وكل ما يخافه من الشرور والألم والجوع "

يرى روسو أن أقدم أشكال البشرية هي الأسرة فهي المجتمع الطبيعي الوحيد ، وهذه الاسرة لم تكن تشكل مستمر وإنما هو مجتمع طرفي ينتهي بإنتهاء الحاجة إليه حيث أن علاقة الأولاد بالأباء موقته فهي تدوم الوقت الذي يحتاجونهم إليه لحفظ بقاءهم وأنفسهم .³

وتنتهي هذه الرابطة الطبيعية متى إنقطع الإحتياج وصاروا الأولاد بالغين راشدين فيستقلون الأولاد من واجب طاعته أبنائهم ، وكذلك يستقل الأبناء من واجب رعاية أولادهم ، وإن أرادوا أن يتحدوا فذلك يكون طوعا وإراديا ويقول ووسوفي هذا الشأن في كتابه العقد الإجتماعي " لأن الأبناء مرتبطين بالأب طالما هم بحاجة إليه من أجل حفظ أنفسهم فما أن

¹سليمان ديلو ، الفكر السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني ، مرجع سبق ذكره ص 222

²جون جاك روسو أصل التقنيات بين الناس تر بولس غالم (مرقم للنشر دط 1991) ص 72

³جون جاك روسو في العقد الإجتماعي ، ترجمة دومان قورفر ، بيروت لبنان ، دار القلم ، ت5 ص 36 .

تنتهي هذه الحاجة حتى تتحل الرابطة الطبيعية ويصبح الأولاد متحرصين من الطاعة الواجبة نحو الأب ويدعون جميعا على السواء إلى الإستقبال ، إذ هم إستمروا في البقاء متحدين لأن البقاء لا يكون طبيعيا ، بل يكون إراديا . والاسرة نفسها لاتتبع اسرة الا بالتقاليد¹ أن من الحقوق الطبيعية التي يتمتع بها الانسان الحرية و المساواة التي ليس على الانسان الطبيعي التنازل عليها ' روسو يرى ان الحالة الفطرية افضل بالنسبة للانسان في الحالة المدنية و ان الفطرة هي قاعدة الانسان في المجتمع وكذلك حالة الطبيعية حالة حسنة و اذا كان الأفراد قد ارادوا ان يغادروها , فلكي يصلوا الى ما هو أحسن لقد أرادوا أن يقيموا المجتمع السياسي ليجدوا فيه قدر أكبر من المزايا .

¹ جون جاك روسو في العقد الاجتماعي ترجمه دوقان قرقوط (مرجع سبق ص 36

المبحث الثاني: الحالة المدنية و مميزاتها

مفهوم الحالة المدنية ومميزاتها :

هي تلك الحالة التي تلت الحالة الطبيعية والتي إنتقل إليها الإنسان الطبيعي ، وقد اتفق. معظم فلاسفة العصر الحديث، على أن هذه الحالة المدنية ليست طبيعية ، كما ذهب إليها الفلاسفة الكلاسيكيين ، وإنما هي إرادية وإتفاقية أي أن الحالة المدنية نتجت عن إتفاق ووضع الأفراد ، وإذا عدنا إلى توماس هوبس فالحالة المدنية حسبه حلت محل الحالة الطبيعية التي ميزها الصراع والحرب وكون إن الناس سئموا تلك الحالة فأرادوا أن يحل السلام محل الحرب "المجتمع واتفق أن يتنازلوا عن كل حقوقهم دون قيد أو شروط وبهذا الإتفاق والتنازل ينتقل هؤلاء الناس من الحاجة الفطرة إلى المجتمع المدني" ، فإنما المجتمع المدني فهو الرد على هذه الحاجات أي "لإيجاد سلطة تسن القوانين وتفسرها وتنفيذها بشكل محايد ومعرف به إجتماعيا بإنسجام مع قوانين الطبيعة"¹

وأما جون لوك فهو كذلك يعتبر الحالة المدنية وضعية و صناعية ، ذلك أنها نتجت عن إتفاق الأفراد وإرادتهم حيث تعاهد الناس وإتفقوا على السلطات التي تكون لكل واحد منهم في الحالة الطبيعية إلى أيد المجتمع ، فالحالة المدنية عند لوك هي العلاج الملائم لعيوب² ، وأفاق حالة الطبيعية ، ولهذه الحالة غاية تسعى لتحقيقها "فالغاية الرئيسية والعظيمة من إتحاد الناس في الدول خضوعهم لحكومة هي حماية ملكيتهم"³

فالحالة المدنية عند لوك هي : "حالة من الناس يعيشون معا مع وجود رئيس عام على الأرض ذي سلطة الحكم بينهم ، وهذه الحالة تقيض الحالة الطبيعية حيث يكون فيها عدد

¹فضل الله محمد إسماعيل رواد الفكر السياسي الحديث مرجع سبق ذكره ص15

²عزمي بشارة المجتمع المدني دراسة تقديمية (مركز ، دراسات الوحدة العربية ط2 2000) ص 83 .

³ليوشتراف جوزيف كروسي تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك الهيوم محمود أحمد القاهرة المجلس الأعلى للثقافة 2008 ص 41 .

من الناس مرتبطين بعضهم البعض وليست لديهم سلطة حاسمة يلجأون إليها " هذا فيما يخص رأي لوك في الحالة المدنية .

وأما جون حاك روسو فهو أيضا وافق هذين الآخرين على أن الحالة المدنية ليست طبيعية وإنما هي ارادية نتجت من صنع الأفراد بعد أن إجتمعوا وإتفقوا فيما بينهم ، وروسو يرى أنه حتى وإن لم تكن الحالة المدنية طبيعية ، إلا انه يتوجب العودة إلى طبيعة الأشياء لأن ذلك ضروري لفهم وتحديد أصول الدولة والمجتمع المدني حسبه هو: "إتفاق مجموعة من الناس يصح كل شخص جردف الإرادة العامة ويخضع لها وينجم عن ذلك أن كل شخص يضل حرا كما كان من قبل ، لأنه لا يطيع شيئا سوى إرادته وقد تغير شكلها ، وترضى الحرية الإتفاقية للمجتمع المدني الحق الطبيعي الأول للإنسان " فالمجتمع المدني يوصفه مجتمعا لا بد أن يكون وحده يتخلى فيها الأفراد عن رغباتهم الخاصة من أجل الكل ، يرى روسو أنه من الرغم أن الحالة الطبيعية التي كان عليها الإنسان الجيد كونها بسيطة غير معتقدة إلا أنه إضطر أن يتجاوزها إلى مرحلة مدنية ، تجعل منه إنسانا يتميز بخصوصيته الإنسانية ، إلا من بين الأسباب التي جعلت الإنسان في المرحلة الطبيعية غير قادر على التحكم في تلك الظروف وكذلك تلك التطورات صحتها ظهور علاقات بين الناس ن تلك العلاقات المفقودة في المرحلة الطبيعية ، أن تلك العلاقات التي ظهرت خلفت أفكار المناقشة والتفوق وإنتشرت الشرور والفساد وإنعدام التسامخ بين الناس ، كما تلاشت معها الحرية والمساواة المعنوية التي كانت سائدة فيما ينشئها ، كما ظهرت بينهم شهوات التسلط ، الحسد وحب الذات ، ينتج عنه حب التمالك أو الملكية ، التي منحها روسو موقع الحجر الإحساس في بناء المجتمع المدني حيث يرى أن أول مؤسس للمجتمع هو ذلك الشخص الذي سيج قطعة أرض أشار إليها وهو يقول : "هذا لي ووجد أناسا على قسط من السذاجة قصد قوة ، كان المؤسس الحقيقي للمجتمع المدني¹ إن مجمل هذه التغيرات والتطورات

¹جون جاك روسو أصل التفاوت بين الناس : (بولس غانم موقم للنشر 1991) ص 79

التي مرأت على الإنسان أدت به إلى الإجتماع ، وفرض التعاون ، والتضامن فيما بينهم ، إن الإجتماع قد أضحي ضرورياً ، ولا يمكن العودة إلى الحالة الطبيعية فكل ما يستطيع أن يفعله الإنسان هو أن يصلح مفاصد المجتمع ، بأن يقيم الحكومة الصالحة ويهيء لها بتربية مواطنين الصالحين وذلك بإيجاد ضرب من الإتحاد يحمي بقوة المجتمع كل شخص ، وكل عضو وحقوقه ويسمح لكل وهو متحد بالكل بأن لا يخضع إلا لنفسه .¹

يقول روسو فيها يخضع إنتقال الإنسان من الحالة الطبيعية إلى حالة مدنية : "وإني أفترض أن الناس قد وصلوا إلى ذلك الحد الذي تغلبت فيه العقبات التي تضر بنقائك في الحالة الطبيعية بمقاومتها على القوى التي يستطيع كل فرد إستعمالها من أجل إستمراره في تلك الحالة عندئذ لم يعد في إمكان تلك الحالة البدائية أن تدوم وكان الجنس البشري سيهلك أو لم يتغير طريقه وحدوده " .²

كان لا بد على الإنسان أن ينشئ عقد ينظر حياة الأفراد ويضمنها في ظل قانون عقلي عادل ، وهذا العقد ينص على : "أن ينزل كل فرد نزولاً كلياً عن حقوقه للجماعة بأسرها ، وكلما كام النزول كلياً ويلاحظ ، كان الإتحاد أكمل ، وهذا ث. لا يعدم الحرية والمساواة الطبيعيين ، بل طبيعة الكل والشاملة ، هو الذي يحافظ عليها " أي أنه على الفرد أن ينقل كل ماله من حقوق إلى مجمع ، يهدف تنظيم حياة الإنسان في مجتمع يضمن له حقوقه ويسير وفق الإرادة العامة التي يقصد بها الخير العام فهي إذن : لا إرادة كل المواطنين ، عندما يرغبون في الصالح العالم ، وليس فس صالحهم الشخصي ، فهي صوت الكل لصالح الكل " حيث يرى الفرد أن إرادته التي تزيد الصالح العام ومصالح الدولة أفضل بكثير من إرادته التي تشدد مصالحه الشخصية ويرعى روسو أن أساس الإرادة هم المنفعة ، وأن الإرادة العامة هي التي تهدف إلى تحقيق المنفعة للجميع حيث أن هذه المنفعة والعدالة³ هي

¹جون جاك روسو في العقد الإجتماعي مرجع سبق ذكره ص 48

²فصل الله محمد إسماعيل رواد الفكر السياسي الحديث مرجع سبق ذكره ص 86 - 87

³فصل الله محمد إسماعيل رواد الفكر السياسي العربي الحديث مرجع سبق ذكره ص 89 .

التي تجعل من الممكن قيام دولة وهناك توافق بين الإرادة العامة والقانون الذي له أهمية في فكر روسو لما يضعه من قواعد عامة تملك أن تؤثر في حقوق الأفراد وحياتهم والقانون عند روسو " وضع الشعب كله قواعد تطبق على الشعب كله فهي علاقة الكل من جهة وعلاقة الكل الأخرى بلا أي تجربة للكل ¹ ، وكل ما يتعلق بالقواعد الموضوعية يكون عامة مثل الإرادة العامة التي وضعه هذا القانون .

وهدف القانون دائماً عاما مثلا الإرادة العامة التي تتبثق منها حيث أنه يريد جميع المواطنين وهو عام لونه يطبق على الكفاءة دون تمييز أو مفاصلة إستثناء بينهم بموجب العقد الإجتماعي تنشأ القوانين التي تسنها الإرادة العامة هذه القوانين التي كانت غائبة في المرحلة الطبيعية ، إذ تظهر وتنشأ في المرحلة المدنية لتنظيم وتحمي حقوق الأفراد الذين تنازلوا عليها .²

إن هذا التنازل لا يفقد الأفراد حرياتهم وحقوقهم نهائياً لأنهم : لا يستعرضون عنها بحقوق وحيات مدنية تقررها لهم الجماعة المدنية التي أقاموها ، بل إن وجود هذه الجماعة يفترض وجود هذه الحقوق والحريات المدنية لأنها ما قامتة إلا لحمايتها .

2 مميزات الحالة المدنية :

رغم أن حياة الأفراد في المرحلة الطبيعية إتسمت بالبساطة والسعادة إلا أن الإنسان مجبر على تجاوزها إلى مرحلة مدنية تجعل منه إنسانا يتميز بخصوصية فتحوّلت حياته .

من طرر الطبيعة إلى طرر المدنية ، وهذا الانتقال حسب روسو كان تحت ضغط ظروف يحللها على هؤلاء في اسباب عرضية غريبة عن طبيعة الإنسان كالبرد القارس والحوارة المحترية ، والتي أدت الإنسان الأول إلى التعاون والتضامن مع بني جنسه ليتمكن

¹المرجع نفسه ص 109

²المراجع نفسه ص 88.

هذا الإستمرار والمقاومة هذه الظروف، وهكذا زادت العلاقات بين الناس¹، وظهرت أفكار المناقشة والتفوق وانتشرت الشرور والفساد، وإنعدام التسامح بين الناس كما تلاشت معها الحرية والمساواة المعنوية التي كانت سائدة فيما يشبههم "ومن هنا تبعت الشهوات الصارمة، شهوة التسلط والحسد وحب الذات الجامع" والتي تنتج عنها حب التملك أو الملكية التي منعها روسو موقع الحجر الأساسي في بناء المجتمع السياسي²، وفي ظل هذه الظروف كانت لا بد للإنسان أن يترك تلك الحالة الطبيعية لينتقل إلى الحالة المدنية ذلك أن الجنس البشري يستهلك ما لم يغير طريقة وجوده عن طريقة عقد ينظم حياة الأفراد في ظل قانون عقل عادل وبمقتضى هذا العقل يصبح الفرد مواطناً ومجموعة يصبر شعباً بالعقد يسعى إلى تنظيم المجتمع وإنشاء جسم سياسي يطلق عليه أعضاؤه إسم الدولة والتي تصير مصدراً للعدالة وأساس للحقوق تلك الحقوق الطبيعية التي فقدها الإنسان الطبيعي وسيعرض بدلها بحقوق مدنية محدودة بالإرادة العامة التي تحميها وتحفظها كما أن الدولة تمنح الأفراد حق التملك، وكذلك يكسب الفرد في الحالة المدنية الحرية الأخلاقية التي وحدها وجعله بحق سيد على نفسه، وفي هذا الشأن يقول روسو "الحرية الأدبية التي تجعل وحدها الإنسان سيد نفسه بالحقيقة، وذلك لأن صولة الشهرة وحدها هي العبودية ولأن صاعة القانون الذي تلزم به أنفسنا الحرية".

وبذلك فالعقد لم يقض على حرية الإنسان وإنما مكنته من الحرية المدنية والأخلاقية وبذلك تتحقق إنسانيته فالإنسان حينما يطبق القانون فهو يطبع نفسه وذلك يحفظ حريته".

حق الإنسان يفقد في ظل العقد الإجتماعي حريته الطبيعية "فالذي يخسره الإنسان بالعقد الإجتماعي هو حريته الطبيعية وحق مطلق في ما يحاول وما ينتمي أن يحصل".

¹ أندريه كرسنتون روسو حياته الفلسفية متخبات نبية . صفر لبيروت منشورات عديبات ط 1988 ص 83 .
² جون جاك روسو في العقد الإجتماعي مصدر سبق ذكره ص 51

إن إنتقال الإنسان من حالته الطبيعية الحسنة البريئة إلى حالة مدنية ما كان إلا طمعا إلى ما هو أحسن لقد أراد الإنسان أن يقيم مجتمعا سياسيا ليجد فيه قدرا كثيرا من المزايا ، وقد أدى هذا الإنتقال إلى تغيير جذري للإنسان : "وذلك بإخلاله العدل بدل الغريزة في سيره وبمنحته أفعاله أديا كان يعزها سابقا وإلى مشاوره عقله قبل الإمضاء إلى أهواته " رغم حرمان الإنسان نفسه من منافع كثيرة ينالها من الطبيعة إلأن ما يكسبه في حالت الجيدة أعظم بكثير من حيث تتسع أفكاره ومعارفه وتتنظم حياته ن ويتحصل على مزايا كثيرة كالحرية المدنية والسياسية والإجتماعية ، كما يستفيد حق تملك ما يملكه ويحصل أيضا على الحرية المعنوية حرية للمجتمع بأسره ، إن الطريقة التي تسمح لكل إنسان أن يشعر بأنه حرا في مجتمعه وأن حقوقه في بناء هذا المجتمع على عقد أو ميثاق إجتماعي أي إلتزام إجتماعي أي على إلتزام تسرعني يتضمن ، لا تتنازل الفرد عن شخصيته وعن جميع حقوقه لمجتمعه ، يجب على كل يريد أن يكون مواطنا في مجتمع أن يرض شخصه وكل سلطته تحت تصرف الإرادة العامة " . بموجب هذا الميثاق لا يفقد الإنسان حريته وحقوقه بل يحفظ ويؤمن عليهما ، وقد ميز روسو بين الحرية الطبيعية التي ليس لها حدود وبين الحرية المدنية التي تكون محدودة بالإرادة العامة ، وهي الحرية ناشئة عن إرادة الأفراد وهي معنوية وحدها التي يجعل الإنسان كإنسان حر وإرادي ولقد جعل روسو الحرية المبدأ الأساسي لكل وجود إنساني " فتنازل الإنسان عن حريته بمعنى تنازله عن صفة الإنسان فيه ، وتنازلا عن الحقوق الإنسانية و عن واجباتها أيضا فتنازلها أيضا يناقض طبيعة الإنسان ، درع كل حرية من إرادة الإنسان لكل أدب من أعماله " ¹

كما أن روسو ربط الحرية بالمساواة لإعتبارها يمثلان الخير الأعظم الذي يسعى المجتمع السياسي إلى تحقيقه ، والحرية في قصدها روسو هي " حرية الأخلاقية معنوية تتمثل أساسا في في طاعة القانون الذي شارك المواطنين أنفسهم في سنة والفرد ليس حرا إلا

¹جون جاك روسو في العقد الإجتماعي مصدر سبق ذكره ص 36

في نطاق المجتمع السياسي والإنسان يملك حريته بإطلاعهم للقوانين¹ وكذلك نجد أن المساواة عند روسو هي أخلاقية معنوية وهي تتحقق في ثنايا المجتمع السياسي ، ذلك بعد أن يرد كل نفسه وحقوقه إلى ذلك المجتمع "وكون أن التنازل كلي وشامل²، فهو متساوي بالنسبة للمجتمع ، وهكذا يظل مبدأ المساواة " وكما تتحقق المساواة تتحقق معها الحرية لأنه لا بقاء للحرية دون المساواة ، كما أن الإنسان في الحالة المدنية يسير وفق قانون مدني يحمي ملكيته التي لم تكن مصانة في الحالة الطبيعية والتي يضمن حسابتها من طرف القانون في ظل المجتمع السياسي ، فالحالة المدنية تضمن حقوق الإنسان وتحافظ عليها .

فالمجتمع السياسي ينهض على العقد الإجتماعي الذي يستبدل الغريزة بالعدالة ويرسم الأهداف المثالية التي لا بد أن يسعى إليها الإنسان من أجل التطور والتقدم فالإنسان في ظل المجتمع تحدث فيه تغيرات عميقة فيخضع لعقله بل خضوعه لنزواته وتؤدي به الحياة الإجتماعية إلى إستخدام ملكات. عقله وتنميته هذه الملكات. وإتساع مداركه وفق تفكيره كما أنها تمسوا بعواطفه وروحه ، هذا يعوض

الإنسان في الحالة المدنية بما فقده . بتركه الحالة الطبيعية ، فهو يفقد الحرية الطبيعية وحقه المطلق في كل ما يفعله ن ولكنه يكسب الحرية المدنية المحدودة بالإرادة العامة ، ثم يضمن الملكية تخفظها الجماعة السياسية .

¹فضل.. الله أحمد إسماعيل رواد الفكر الحديث مرجع سبق ذكره ص 110 .

المبحث الثالث :

المشروع الديمقراطي للدولة عند روسو :

لقد دفعت الظروف التي عاشها روسو في عصره حيث كانت فرنسا أواسط القرن 18م بعيدة من أن تستجيب لمطلب تحقيق المساواة ، إذ كان سكانها منقسمين إلى طبقات لا تتمتع بنفس الإمتيزات ، إذ كانت طبيعة. السيسولوجية والثقافية للمجتمع تؤمن بالطبقية ، فلم يكن لهم حقوق أصلا .

التفكير في بداية إعادة توزيع الثروات يقترض أن تضع المرء نفسه في سياق في دولة عادلة غير أن هذه لم قانون مناف للطبيعة تكن الوضعية البلدان التي عاش فيها روسو، وهذا مادفعه إلى التفكير في الكيفية التي تتبغى أن تنتظر وفقتها مثل هذه الدولة¹.

- إلبضرورة المساواة أمام القانون وفي هذا لمخلص في نهاية مؤلفه العقد الإجتماعي

CONTRO SOCIAL

يقول : يقض العقد الإجتماعي إلى إرساء نوع من المساواة بين المواطنين إلى حد يجعلهم يقبلون جميعا الإلتزام بالشروط نفسها وأن يتمتع جميعهم لبالحقوق لنفسها

لقد ركز روسو على مسألة عدم المساواة وبقي تشاغلا تفكيره أي آخر حياته ويظهر ذلك في تخصصه فصلا ل كتابه : العقد الإجتماعي تحت عنوان الملكية الحقيقية له رسالة خاصة بذلك كانت جوابا على سؤال المسابقة التي طرحها DIJON ، كما أكاديمية ديجون .

وهكذا يرى روسو أن في عدم وجود المساواة أخطر على الحرية و حياة الدولة و المجتمع

¹تزيغيتان تودوروف ، روح الأدوار ، المرجع نفسه ص 110 .

أكد روسو انه ليس من الطبيعي ان تتحكم الأقلية على الاكثرية و لا أن تؤثر المصالح الخاصة على المصالح العامة.¹

و يقول روسو أن الديمقراطية هي أن يعهد السيد بأمانة الحكومة الى الشعب كله او الجزء الأكبر من الشعب.

كما قال ان الديمقراطية تلائم الدول الصغيرة و اعتبرها أكمل أشكال الحكومة , لكنه قال أن هذا الشكل من الحكومة يقتضي متطلبات كثيرة , اذا قال "لأن هناك شعبا من الالهة للحكم نفسه ديمقراطيا أن الحكومة تبلغ هذا المدى من الكمال لا تلائم البشر"²وهنا يظهر لنا مدى تعزيز روسو للديمقراطية لدرجة انه يرتفع بها فوق مرتبة الانسان , أي أن الشعب الالهي فقط من يمكنه ان يكون ديمقراطيا , على أن حكومة الناس العاديين لا تقوى أن تصل الى هذه الدرجة من الكمال.³

لكن اعتبر روسو نفسه ديمقراطيا فذلك يستوجب علينا معرفة ما يعنيه بحكومة الديمقراطية و عدم موافقة لها فما يسميه ديمقراطية ليس نظاما مثل نظام الجمهوري الشائع الآن , بل هي ديمقراطية كما وجدت في زمان القديم , في أثينا هي الحكومة المباشرة أي الشعب يسن كله القانون و يحكم كله نفسه و يتخذ في اجتماعات شعبية بطريقة الاستفتاء ما يشاء من قرارات.⁴

¹ اندرية كويستون حياته فلسفته منتخبات دار منشورات عويدات ط4 بيروت 1988 ص 163

² نجيب المستكاوي جان جاك روسو حياته مؤلفاته غرامياته دار الشروق للنشر ط 1989 أم ص 310

³ أحمد ضاهر , دراسات في الفلسفة السياسية بدون طبعة 1987 ص 124

⁴ اميل فاجية روكسو المفكر الجزء الثامن افكاره السياسية نجيب المستكاوي روسو حياته مؤلفاته غرامياته المرجع نفسه ص 310

المبحث الرابع

دور التربية في بناء المواضة

لقد أسند روسو إلى التربية مكانة هامة حيث إعتبرها وسيلة ضرورية لفهم وحسن التوجيه الطبيعية الإنسانية ومن هذا المنظور غعتبر روسو التربة الطبيعية أكثر ملائمة مع القلب الإنساني¹ لأنها قائمة أساسا على معرفة قوانين الطبيعة البشرية وتوجهها .

لقد قام روسو بالثورة في عالم التربية والتعليم ، فبعد ما كان الطفل أذان طاعة في أيادي الراشدين أصبح ذا حق في إستعمال حريته . "فإنقلب مفهوم التربية من قيود وعبودية مفروضة لنشوء حر لطفولة " ولا يجوز نكران هذا الحق² بل يجب أن يفسح المجال لنشوء الطفولة ونموها وإزدهارها ، ولكن يطبق أفكاره هذه في الواقع : "قام بأخذ مسؤولية تربية طفل خيالي. إسمه أميل وإشترط في تربيته أن يتتبعه من ساعة ميلاده إلى أن يصير حرا مستقلا يستطيع الإعتماد على نفسه " ومن الأحسن أن تتوفر بعض الشروط في المربي أهمها أن يكون بين المربي والتلميذ فارق كثيرا ، ومن هذا المنطلق كانت المهام المربي العام أميل هي العمل على أن لا يكون إنسانا مدنيا ذلك لأن هذا الإنسان يولد ويعيش ويموت في العبودية إن مهمة المربي تتلخص في إثار كل مشاعر إنسانية التي يميل إليها الإنسان بحكم الطبيعة والظن التي تحول دون ظهور الحسد والحقد والطمع وغيرها من المشاعر القاسية .

يعد أن إختيار المربي تلميذه وضع له مسار تربوي طبيعي ويعتبر هذا المسار من أهم ما وضطعه روسو في التربية ، وينقسم هذا الأخير إلى أربعة مراحل وتكون المرحلة الاولى من

¹محمد فاضل الجماعي ، تربية الإنسان الجديد (القاهرة الدار العربية للنشر ط1 دت) 157

²مصطفى أمين تاريخ التربية (مصر ، مطبعة المعارف بشارع الف²

²المصدر نفسه .160

جر ط2 جون جاك روسو أميل في التربية مصر دار المعارف 1956 ص 331926 ص 150 .

لحظة مولد إلى أن يبلغ سن الخامسة ، ويركز إهتمامه في هذه المرحلة إلى التكوين والتربية الجسدية الصحية ، وتوجيه نفسي أخلاقي تربوي¹ ، أما المرحلة الثانية أين يقدم المربي للتلميذ دروس الشجاعة وفي إحتمال الألم والصبر عليها ، حيث يقول روسو ليس من الخير أن تجعله فترة من العمل معانات من نير العبودية زمن نير الإستبداد فلنترك لطفولته ممارسة الحرية الطبيعية تلك الحرية التي تبعد الأطفال ولو حين من الرذائل² وعندما تنتهي بتوجيه مشاعر الطفل وتوضيح لانغصالاته نستطيع القول أن إميل أنهى المرحلة الثانية فينتقل إلى المرحلة الثالثة التي يعالجها روسو بتحقيق في الكتاب الثالث من أصل أو في التربية هي مرحلة المراهقة من سن الثانية عشر إلى الخامسة عشر فيعمل مع أميل في هذه الفترة على تنمية بصيرته. وتدريبه على أسلوب الإكتشاف .

وفي هذه المرحلة أيضا يكون إميل الرجل الإجتماعي إنطلاقا من تعليمه أي صنعه كانت أو أي عمل ليكتشف بنفسه حاجته إلى المجتمع وحاجة المجتمع إليه ، "فهو لا يكفي نفسه بنفسه بل يستفيد من غيره ويجب أن يفيد هو بالمثل غيره ، وهكذا تتكون شيء فشيء في ذهن الطفل معاني العلاقات الإجتماعية حتى قبل أن يصبح فعلا عضوا كاملا في المجتمع يرى أنه لا يستطيع الحصول على أدوات لإستعماله الخاص كذلك يجب أن يكون لديه أدوات تصلح الإستعمال الآخرين " ويتكون أميل إجتماعيا ينهي المرحلة الثالثة .

وينتقل إلى المرحلة الرابعة وهي المرحلة الشباب ، اين يكون أميل مستعدا لتعليم التاريخ مع الإعتناء بنوع المعرفة التاريخية التي تقدمها له بحيث يتخذ من ابطال التاريخ لحياته.

إذن إن وصول أميل إلى مرحلة النضج العقلي والعاطفي معناه أنه صار رجلا مكتملا، وعليه إختيار شريكة حياته من أجل تكوين أسرة التي بدونها تبقى حياته ناقصة فالمرأة عنصر أساسي داخل أسرة ووظيفتها فيها مكملة لوظيفة الرجل .

¹ جون جاك روسو أميل في التربية مصر دار المعارف 1956 ص 33

² المصدر نفسه ص 160 .

تقع المهام الأساسية التربوية في التكوين الإنسان الطبيعي ، وتنمية ملاكاته. في الإتجاه الموافق للطبيعة ، و أفضل طريقة لتحقيق ذلك في نظر روسو، إبعاده عن التجمعات التاريخية الفاسدة حتى لا تتمكن من تشويه القبلات التي يتمتع بها ، وإذا كان الأمر كذلك فإن هذا لا يعني أبدا ، أن الغرض من تربية إميل هو إرجاعه إلى الحالة الطبيعية أو إبقاء منفردا ووحيدا ، وإنما تحويله إلى عضو فعال داخل للدولة وفي الآخر المطاف إستخلصنا أن مشروع روسو التربوي تهدف إلى إعداد المواطن القادر على تأسيس الدولة المشروعة والإلتحام بها إلتحاما يجعل المواطن والدولة كيانا وحيدا.

فعمل على توعية كل الطبقات المجتمع إذ يقول روسو في كتابه في العقد الإجتماعي "يولد الإنسان حرا ، إلا أنكل مكان مكبل بالإغلال "1 هذه الجملة التي إستهل بها كتابة كفيلة بإظهار مشروع روسو التحرري الذي سيغير مفاهيم كثيرة من التفكير السياسي الفرنسي فهذه الجملة كفيلة بجعل الإنسان يفهم كونه كائن يملك الحرية التي سلبتها منه الكنيسة بسيطرتها على الأوضاع السياسية الإقتصادية والإجتماعية ، فلسفة روسو نداء لإسترجاع الحقوق الطبيعية التي سلبت منه ².

" إن نخلي الإنسان عن حريته هو تخليه عن صفته كإنسان " إضافة نشر أفكار الحقوق الطبيعية في الحرية وممارستها ، نية روسو إلى عدم مشروعية الأنظمة السياسية التي لا يكون أساسها إرادة الافراد التي تحمي سيادتها ، عكس ماكان سائدا في المجتمع الفرنسي في عصره فرفض أن تكون القوة أيا كان شكلها اساسها لنظام سياسي ما " القوة لا تنتج أي حق فإذن الإتفاقيات هي الأساس لكل سلطة تشريعية بين الناس " ³.

1 جون جاك روسو في العقد الإجتماعي ، مصدر سبق كره ص 35

2- جون جاك ، روسو ، حياته ، فلسفته ، مرجع سبق ذكره ص 102

3- جون جاك روسو فلسفة الثورة الفرنسية عصفور (بيروت ، باريس ، منشورات عود بدات ، ط 1 1982 ص 131 .

لقد حدد روسو الحياة السياسية إنطلاقاً من فرضية الحالة الطبيعية التي تتميز بالحرية والمساواة ، ونجدها من أهم المبادئ التي تغنت بها الثورة الفرنسية " إذا إعتبرت مبدأ المساواة والحرية حقوق ملازمة لطبيعة الإنسان " .

لقد تبنت الثورة الفرنسية أهم المبادئ الفلسفة التجريبية الروسية فنظروا لمجتمع مدني يحافظ على الحرية والمساواة التي إعتبرتها حقان بلا زمان ولادة الإنسان ويقول بول هزار paulhezard في كتابه ازمة الوعي الأوروبي¹ قبلت الثورة الفرنسية الموازين ، وحصلت معركة كبرى بين طرفين الطرف العقلي والطرف الأصلي العقائدي ، وعن هذه المعركة الهائجة تمخضت الحادثة الحادثة القديمة قائمته على الواجب واجب الإنسان غتجاه رجال الدين والملوك وأن الفلاسفة الجدد يؤسسون لحضارة جديدة مبنية على فكرة الحقوق حق الزرضمير الفردي حق النقد حق العمل وحقوق الإنسان والمواطن " .

تفهم مما سبق أن فلسفة روسو التربوية هي التي اطلقت شعاع الحرية والمساواة التي تسببتها الثورة الفرنسية ، واصبحت فيها بعد أمر مادة من موادلاتحة. حقوق الإنسان .

¹بول هزارد أزمة الوعي الأوروبي ، تقلاني ، هاشم صالح ، مدخل إلى أكتوبر الأوروبي مرجع سبق ذكره ص 153 .

الفصل الثالث

تأثير اراد روسو الفكر السياسي الحديث و المعاصر

المبحث الأول تأثيره على الثورة الفرنسية

المبحث الثاني تأثيره على الفكر السياسي العربي

المبحث الثالث علاقة روسو بفكرة المواطنة و حقوق الإنسان

المبحث الاول : تأثيره على الثورة الفرنسية :

لقد ساهم روسو في إبراز قيمة ماهر إنساني ، فقد تهيأ الفكر التي .ستسكنها الثورة عن الإنسان ، وسبب المفهوم الديمقراطي =المنحدر. من فلسفة عصر النور ، فإن العقل موهوب لكل إنسان وبالنظر لبداية النتائج التي تؤدي إليها ملكية المحاكمة عنده فإنه يمكن للإنسان أن يتخذ وضعا في كل حال ، ومر يستمتع بإستغلال تام في المجال الفكري ، وهذا للمنهج الفكري يستمر الأجنب نهج روسو وإذا طبق في المجال السياسي فسيكون معناه أن في الوعي كل إنسان شريطة أن يكون مستتيرا ، أن يبدي رأيه بنفسه في شؤون الدولة ، ولن يظل هكذا من يره أن كبار رجال الدولة قادرون دون غيرهم على السيطرة على مجموعة القضايا المتعلقة ببلد ما ، ولم تعد السياسة علما او غنا. مقصورا على عدد قليل من ذوي الأهلية .¹

ويرى روسو أن كل فرد يحمل ذاته ما يحتاج إليه للحياة والإنسان ، إنسانا ليست به حاجاته إلى معارف لا تتعلق به ، وقيمة الفلسفة في نظره تقوم على علاقتها بها هو إنسانس وعلى ما لها من تأثير في مجرى حياة الناس ، وهذا الرأي بمفرده بشكل طبيعي إلى موقف معارضه إزاء الحال التي يحيا فيها المعاصرون ، فكان ينهض في وجهه صورة الحياة التي يلاحظها من حوله، فهي غير ملاحظة للطبيعة ، وهي ليست ماقد تتطلب الطبيعة لها أن تكون .

إن روسو يحدث البشر عن. تقوسهم وعما في. طبيعتهم وعما هم. فيهم من سعادة وعن حاجتهم إلى أن يعبروا وأن يكونوا محبوبين ، فطل رأبي يحدث أثره الثورة الفرنسية

¹لويس عوض ، الثورة الفرنسية ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992 ص 92 - 93 .

فالفيزيوقراطيون يطالبون بأن ينال الإنسان إستقلاله على الصعيد الإقتصادي إذ ما من أحد أدرى منه بالسهر على مصالحه الخاصة ، ولا أعلم منه بما عليه أن يفعل لمنفعته الخاصة ، هذا لكذلك جميع النزاعات الى محبة الناس والتي تتادي بحياة لا تقته الإنسان حيثما كان الإنسان¹ ، وبالتيارات من الفكر المسيحي الذي يشير بمحبة القريب وبالأخوة ، أن جميع إتجاهات النصف الثاني من القرن الثامن عشر تتركز حول الإنسان² ، ولم تعد المعارف العلمية المنزهة عن الغرض ، فهي لا داعي لوجودها إلا بمقدار ما لها من دخل في الحياة البشرية ، وعندما كان روسو ومن يستشهدون به مباشرة يقفون في وجه تقدم العلوم فإنهم كانوا يفعلون ذلك لأن المعرفة العلمية لم تكن لها صيلة بالحياة الداخلية³ ، بحياة الإنسان الحقيقية ولم يكونوا يتحدثون إلا عما يمكن أن يكون له معنى بالنسبة للنفس الإنسانية بالنسبة للحياة الإنسان الحقيقية

ثم أن البعض يغزو لروسو قيام الثورة وسقوط الملكية لتطبيق الجمهورية والديموقراطية فقط بل يرى أن كل المذاهب التقدمية وفي مقدمتها الإشتراكية والشيوعية لها جذود في كتب روسو .

كانت مؤلفات روسو في العقد الإجتماعي ، اصل التفاوت بين الناس تاثير هام وكبير في نشر أفكار التحرر والمساواة في المجتمع الفرنسي ، فسادت ذهنية متحررة . متتورة.. ناقصة وتأثره على العادات الدغمائية والإضطهاد الديني والسياسي ما" جعل ظهرثورة دينية وفكرية وسياسية ، لقد حصل تغيير هائل في أفكارنا وسرعته هذا التغيير تعد بالمزيد منه لاحقا لقد خصلت ثورة فكرية حقيقية " وهدف هذه الثورة الفكرية هو جعل العقل وحده⁴ روح العصر ، فنجد إلى جانب جون جاك روسو فلاسفة فرنسيين كان لديهم نفس التوجه ومنهم نذكر فولتير

¹ - المرجع نفسه ص 128

² جون لوك ، المجتمع المدني ، التاريخ التقدي للفكرة المنظمة العربية للترجمة ط1 بيروت 2008 ص 240 .

³ إبراهيم الخال ، جون جاك روسو ، رائد الديمقراطية الإشتراكية الاولى بدون طبعة بدون تاريخ ص 153 .

⁴ ماهر مصالح مدخل إلى الت. الأولى ، بيروت دار الطليعة ، ط1 2005 ص 145

1619 - 1778 voltair الذي إنتقد بدوره التعصب الديني فنية إلى أنه يحارب الدين وإنما الخرافات والتعصب ولا يحارب الإيمان إنما يحارب الكنيسة كمؤسسة سلطوية محكمة¹

يقترن فكر فولتير مع روسو ، كون أن أفكار فولتر سارعت وساعدت بنشر أفكار روسو والمساواة والحرية ، بحيث فتح باب الحرية الدينية ونفذ الأفكار الميتافيزيقية التي سيطرت على المجتمع الفرنسي ونية إلى الضرورة التفكير العلي والرياضي ، فإعتبر نيوتن newton انه لا ينشئ أبد نظام " لقد رأى وجعلنا نرى الأشياء التي نراها بإعتبار والتي تثبتها الرياضيات حقيقة يجب أن نعتقد بها " ² يظهر لنا مدى أهمية التفكير فولتر في جعل المجتمع الفرنسي يستوعب تفكير روسو الذي قلب بإنجيل الثورة الفرنسية وما يميز فكر هذا الأخير عن معاصريه شمولية. فلسفة لكل مجالات الحياة الإقتصادية والتربوية

فعمل على توعية كل الطبقات المجتمع إذ يقول روسو في كتابه في العقد الإجتماعي "ولد الإنسان حراً إلا أنه في كل مكان مكبل بالأغلال " ³ هذه الجملة التي إسته لبها كفية بإظهار مشروع روسو التحرري الذي سيغير مفاهيم كثيرة في التفكير السياسي الفرنسي .⁴

فهذه الجملة كفيلة بجعل الانسان يفهم كأن يمتلك الحرية بمجرد امتلاك الحياة بالتالي يمتلك حق ممارسة هذه الحرية التي سلبتها من السكينة بسيطرتها على الاوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية فلسفة روسو نداء لاسترجاع الحقوق الطبيعية التي سلبت منه .

لقد حدد روسو الحياة السياسية من فرضية الحالة الطبيعية التي تتميز ب الحرية و المساواة و نجد من أهم المبادئ تغنت بها الثورة الفرنسية > اذا اعتبرت مبدأ المساواة و الحرية حقوق ملازمة لطبيعة الانسان.⁵

² JAC QUELINE RUSS HISTOIRE DE LA PHILOSOPHIE DE SOKRAT A FOUCAULT OP CIT P 35

جان جاك روسو في العقد الاجتماعي, مصدر* سبق ذكره , ص35³

يونان غوتوبون , فلسفة الثورة الفرنسية , تر عيسى عصفور , (بيروت -باريس منشورات عويدات , ط1, 1982) ص 131⁵

لقد تبنت الثورة الفرنسية أمر مبادئ الفلسفة التحررية الروسية فنظروا لمجتمع مدني يحافظ على التحرر والمساواة التي اعتبرتها .. حقن بلا زمان ولادة الإنسان ويقول هربز في كتابه أزمة الوعي الأوروبي " قلبت الثورة الفرنسية الموازين ، وحصلت معركة كبرى بين الطرفين الطرف العقل والطرف الأصولي العقائدي¹ ، وعن هذه المعرفة الهائلة تمخضت العدالة الحداثة القديمة قائمة على الواجب الإنساني إتجاه رجال الدين والملوك وأن الفلاسفة الجدد يؤسسون لحضارة جديدة سليمة على فكرة حقوق حق الضمير الفردي حق النقد حق العقل ، وحقوق الإنسان والمواطن "

نفهم مما سبق أن فلسفة روبر التربوية هي التي أطلقت شعاع الحرية والمساواة التي تبنتها الثورة الروسية وأصبحت فيما بعد أهم مادة من مواد لائحة. حقوق الإنسان "

المبحث الثاني تأثيره على الفكر السياسي العربي

لقد لعبت افكار الفيلسوف الفرنسي جون جاك روسو دورا هاما في الثورة الفرنسية حيث كان له حضور وسط المفكرين العرب حيث لاقت افكاره تلقائيا عربيا وسنعمد إلى دراسة هذا التلقي بشكل أساسي لإنتماء للفكر التنويري في الرن الثامن عشر تأثير روسو على فرح أنطوان يعد السياسي <فرح أنطوان > من بين المتأثرين و المعجبين بالفكر الغربي عامة و الثقافة الفرنسية خاصة حيث كان مغرما و مولعا بالاداب الفرنسية فعمل على دراستها كما تجده "تأثر بالفيلسوف و المكر الفرنسي الحر جون جاك روسو " إن نلمسه بوضوح في كتاباته فهو قارئ متميز لأفكار روسو في مجالاته السياسية و التربوية و الإجتماعية.

لقد كان تنثيره بكتاب "إميل" واضحا فهو كتاب تربوي قدمه روسو لامرأة ليعينها على تربية ولدها يغلب عليه طابع النصح الوظيف و الإرشاد يفتوح فيه روسو ان بداية

¹نزل هزار أزمة الوعي الأوروبي ، . هامز صالح مدخل إلى التنوير الأوروبي مرجع سبق ذكره

حياة الطفل تكون بمعرفة البيئة المحيطة به و تلقيه مبادئ الذي يساعده على النمو و يمنح الشعور ي الأمانة و الثقة و الإطمئنان بعد بلوغ السادسة عشر ينم الكشف على الحقيقة يانه لا يوجد ديانات اتية من السماء و افضل أن يتبع الديانة الطبيعية¹ يجب إختيار "إميل" طريقة الحياة حسب ميولة الحقيقية يكون أي شي~ يريد ان يكونه لكن بمحض ارادته و لا يكون لأي انسان التاثير عليه في إختياراته²

إن صلاح الهيئة الاجتماعية يكون بصلاح النساء حسب روسو كما جاء في كتابه المتقدم ميل او التربية فوظيفة المرأة تكون زوجة واما فتأثر فرح انطوان في هذه المسألة بروسو كما إعتبر أنطوان ان المرأة هي الصلاح الحقيقي للمجتمع فدورها يقوم على التربية و التعليم و تحرير المرأة و هذا ما جاء في مقالاته بمجلة المجتمع التي اصدرها تحت عنوان تربية المرأة³.

اما الإجابة فتسلط المرأة على الرجل ثقافيا و إجتماعيا فذلك إثبات لدورها في المجتمع و منذ ولادتها و هي تحتل مكانة و متسلطة متمكنة حتى ياتي النصيب فتتزوج فتتجب فرحة الكل فيريد الرزق فالمرأة كائن قوي قادر على القيام بالوظائف التعليمية و وهذا ما يسموا إليه فرح انطوان من التربية اكثر من الرجل خلال حرية المرأة و تعليمها لجعل مكانة لا في المجتمع فإذن المرأة متسلطة منذ ولادتها.

¹ فرح انطوان 1874-1922 من اعلام النهضة العلمنية العربية هاجر من طرابلس لبنان اللى القاهرة عام 1897 إشتهر بدراسته عن فلسفة ابن رشد و تأثر بأعماله صحافي و روائي و مسرحي و كاتب ولد بطرابلس لبنان و إنتقل الى الإسكندرية فرح انطوان

² حسن القدر عيد العال جون جاك روسو على فرح انطوان (دراسة مقارنة مجلة الجامعة الاسلامية مجلد 10 عدد 1 عزة فلسطين 2002 ص215

³ مرجع سبق ذكره ص 215

2 تأثير روسو غاإعدام المساواة على فرح أنطوان

ان جون جاك روسو محاولات في اللإجابة عن سؤال المسابقة الفرنسية التي ضهرت عام الف وسبعو مائة و ثلاثة و خمسون م في برنامج اكاديمي ديجون و السؤال كان ماهي اصول عدم المساواة بين الناس فمن خلال افكاره الهمة خطابه المشهور اصول عدم المساواة بين الناس الذي ضهر عام ألف و سبعومائة و خمسة و خمسون م الذي لم يلق نجاحا أنذاك لكنه إشتهر في زمن آخر و قد كان روسو دائما يفتخر بالإنيان الطبيعي الذي لم تفسده الحضارة و بينت لهم كماله كما أظهرت لهم في الوقت ذاته متابع و أسباب شقائهم .

نجد أن روسو دائما ما يجد الحياة الطبيعية الأولى أو الحالة البدائية الألى و العيش في أحضان الطبيعة الألى حيث انه كان معارض الحياة المدنية و حاربها بكل ما أتي من قوة فحسب رأيه تمكن السعادة في الحياة الطبيعية إذ يقول في خطابه "فقد اصبحو فقراء دون أم يخسرو شئ لأنهم ضلو على حالهم و لم يتغيروا في حين تغير كل شئ حولهم و لذلك اضطرو إلى قبول أقوالهم وافتصابها من ايدي الأفياء و من هنا بدأت السيطرة و الغبوجدية في النشوء و ذلك الغنف و النهب تبعا لطبائع البشر"²¹

أشار فرح أنطوان ان أن الهنود كانوا يعيشون بصفة طبيعية هادئة و حرة إلا أنه لم يستمد الحال فقد تعرضوا للاحتلال من قبل البيض سلبوا حريتهم و أرضهم عملوا على تغيير البلاء و جعلوا من السكان الأصليين عبيدا لهم فنجد ان فرح أطوان مع روسو في هذه الخطبة حيث تذكرنا خطاب جون جاك روسو عن الإنسان الطبيعي و عيشه ببساطة سعيدا مستمتعا بحياة بعيدا عن حياة الصخب الحياة المدنية و الملكية التي كانت سببا

¹حسن قدر عبد العال تأثير جوت جاك روسو على فرح أنطوان(دراسة مقارنة)مجلة الجامعة الإسلامية مجلد 10 عند1عزة فلسطين 2002 ص

227

²جون جاك روسو خطاب في اصل التفاوت و في أسسه بين البشر تر غانم سبق ذكره ص 133

في زعزعة المبادئ الأخلاقية و الدينية و لهذا يمكن الوضوح في كتابات روسو كان لها تاثير واضح على كتاب العربي فرح انطوبته لدى شلال نياجرا و في عدة كتابات¹

المبحث الثالث

علاقة روسو بحقوق الإنسان

كما سبق ورأينا فإن فلسفة جون حاك روسو كانت تنويرية. وقد أعاده الإعتبار للإنسان حيث يعتبر هذا الفيلسوف الفرنسي أن حقوق الإنسان نجد أصلها في القوانين الطبيعية فالحرية التي كانت سائدة في الحالة الطبيعية كونها حق طبيهي قد بقيت على هذا الأساس إنها حق من حقوق الإنسان بعد إقامته ميثاق إجتماعي الذي يمثل مرحلة تاريخية تشير إلى " الإنتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية " وبموجب هذا العقد إنتقل الإنسان من الحياة الطبيعية إلى الحياة السياسية والتنظيم الإجتماعي والمدني الذي يتميز بالتنظيم القانوني من خلال الواجبات والحقوق .²

إن الحرية والمساواة هما مبدان أساسيان في فكر روسو وإعتبرهما الحق الذي لا يجب على الإنسان التنازل عنه ، يقول روسو : "إن تخلي الإنسان عن حريته معناه تخليه عن صفته كالإنسان وعن حقوقه وواجباته "

وكذلك نجد لإختلافية العصور ، سادت الأنظمة الجائزة التي كانت تضعف الناس إلى الطبقات عليا وسفلى وعبيد ومالكين ومملوكين كما تجلت تلك الأنظمة فيما قررته عقوبات صارمة تصل إلى الإعدام بأبشع الطرق والرسائل ولأتفه الأسباب .

وكان الحكم في الغالب يدعون أنهم سلتهم سيادتهم غير محدودة إنما هي مستمدة من الإرادة الأهلية ملجأ الإنسان إلى الحق الطبيعي الذي يضمن حقوق الإنسان ، الحق الطبيعي

¹جان جاك روسو في العقد الاجتماعي مصدر سبق ذكره ص 100
²فولغين فلسفة الانوار. هنرييت عيودي ، جورج طرابيسي (بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر ط 1 ، 2006) ص234.

بمعنى نحو العدالة العلمي والأسمي فهذا الحق الطبيعي أبدي وعالم ..هو غير متبدل ولا متغير وهو في كل مكان وزمان فالطبيعة قد فرضت الحرية والمساواة على الطبيعة الإنسان وهو الذي يكشفه هرالدي يستر لمصالحة بواسطة أعمال العقل لإكتشاف هذا القانون .¹

تعبير الحرية والمساواة جوهر الحقوق الطبيعية عند روسو والتي تتنازل الناس عليها للإرادة العامة ، بعد إنتقالهم من حالة طبيعية إلى حالة مدنية ، الغاية من ذلك هو إقرار الحق في الحرية والمساواة على أساس إجتماعي .

إن القوانين التي تضعها الدولة بعد نشرها أنها . تشعر فيها من كونها تعبر عن الإرادة العامة للناس ، وهي الإرادة التي تلتصم المصلحة المشتركة وتسعى إلى الخير العام ، وهكذا نجد حقوق الإنسان الطبيعية مجال تحقيقها من خلال تحولها إلى حقوق مدنية تؤسسها مرجعية عامة هي الإرادة العامة التي تعلق جميع الإرادات المشتركة والخير العام وقد إعتبر روسو الحرية والمساواة هي من الطبيعة قد وهبها الله للناس ، "بينما أن الحرية إذ هي ليس لهم الحق ما بان دحدوتهم " ولكن المجتمع ونظامه السياسي قد يعتدي على هذه الحقوق ويقسوه الطبيعة الإنسانية الخيرة ، فعالية الحق التطبيقي هو تعديل ما يمارس واقعها أي تعديل القوانين الوضعية ، وأي إعتراف بالحق الطبيعي هو إعتراف بأن كل الإنسان قارد على تفهم رسالته كإنسان ومن ثم فالحوار مع كل إنسان أيا كان معتقده الديني والفكري ممكن بل هو أساسي في تكوين المجتمع الإنساني القائم على إحترام العقل والحرية ، والقائم على سمات كل إنسان الأساسية والمشاركة ، الأمر الذي يسمح لكل شخص أن يتقدم من خلال علاقاته بالآخرين ويسير معهم نحو تحقيق إنسانية تحقيقا أكمل وأعظم وأعمق .²

والحق الطبيعي يتطلب من الإنسان أن يتساعد دائما عن قيمة الحياة الإنسانية وحقيقة الحق الطبيعي . عموميته وشموليته ، والتي تقوم على إعلانه لحقيقة الإنسان فذلك يعني أن

¹ جون حاك روسو أصل التفاوت بين الناس مصدر سبق ذكره ص 119 .

² جون حاك روسو أصل التقارب بين الناس ، مصدر سبق ذكره ص 24 .

عموميته تتحقق من خلال تكريم عالم إنساني حقا تسوده قيم مشتركة " ذلك لأن فكرة الحق ، وعلى الخصوص فكرة الحق الطبيعي هما فكرتان وخاصتان بطبيعة الإنسان "

إن اعتماد الحق الطبيعي يؤسس إمكانية قيام حوار بين الثقافات المختلفة والتعاون فيما بينها لأنه حاضر في كل في منها ، إذ يجب التطلع إلى المستقبل ، وبزوغا لإنسانية أخطر وأشمل في العالم ، ووحدة البشر والإنسانية العالم لن ينفيا تنوع الثقافات وإختلافاتها ويقومان على إرادة إضفاد معنى على الحياة الإنسانية في تنوع الأنماطها إختلاف أعضائها ، فإعتماد مفهوم الحق الطبيعي يسند بالضرورة الوعي لما الإنسان من يعد تاريخي وقبول نمو الأشخاص والجماعات نموا تاريخيا الذي يتطور من زمن إلى زمن .

الحقوق الطبيعية هي تلك الحقوق التي تشبع من طبيعة الإنسان والتي هي جزء من كيانه والتي تنجم على وجود الإنسانوهي مصالحة المجتمع والمجتمع البلدان وتجميع الأزمنة لمجرد أنها ولدت مع الإنسان نفسه وهي موجودة في ضمير كل فرد ، إن للإنسان بوصفه إنسانا له حقوق طبيعية تعطيه صفة الإنسانية وبالتالي لا يكمن التنتزل عليها وللقانون الطبيعي بعض المفاهيم التالية التي يمكن حصرها في النقاط التالية :

أولا : يعتبر القانون الطبيعي ذريعة يلجأ إليها الجانب الضعيف من أطراف العلاقة الإجتماعية والسياسية لتتوير التمرد على واقعة والمختلفين ثقافيا أو حضاريا أو إقتصاديا أو سياسيا كما يعتبر ذريعة قانونية طالما لجأ إليها.فقهاء ، "القانون قديما وحديثا ، عند التحسس يقصر تشريعهم الوصفي في الوفاء بمتطلبات إصدار القرارات العادلة في القضايا طرحت أمامهم " ¹.

¹بوقار غوتوين ، فلسفة الثورة الفرنسية مرجع سبق ذكره ص 149.

ثانيا : يعتبر القانون الطبيعي المثال إلا على القانون الذي يسمو على القانون الوضعي المطبق فعلا ،والذي كثيرا ما كان مصدرا للمظالم التي عانتها البشرية .ثالثا : تهدف فكرة القانون الطبيعي إلى رسم الإلتزام العالمي يحكم الإنسان أولا ... تمجيد الحقوق الثابتة للأفراد ، والتي تدعى بالحقوق الطبيعية للإنسان ، والتي لا تقبل التجزئة والإغتصاب .

إن فكرة القانون الطبيعي تعني وجود قواعد قانونية أسبق وأعلى من القانون الوضعي بحيث أنها ثابتة وصالحة في كل زمان ومكان ، كما أن القانون الطبيعي مستقل عن القانون الوضعي ، وهو أعلى منه " طريقته لفهم البشرية " ¹ طالما كان الإنسان مقطور على طبيعة معينة تتمثل في جملة المميزات أطلق عليها إسم الحقوق كالحرية والمساواة والكرامة ، فقد وجب المحافظة عليها وتدعيمها.

وكذلك إهتم روسو بالمواطنة بوصفها الضامن لمسيرة حقوق الإنسان ، وقد ميز روسو بين مفهومي المواطن والإنسان من الناحية السياسية والقانونية وقد ترجمت فيما بعد .

وفي لائحة حقوق الإنسان و المواطن الفرنسي عقب الثورة الفرنسية 1789 إذ أخذت فكرة المواطنة بعدما الحديث كشر للحرية والمساواة وتكتسب دلالتها الحقيقية في إطار الدولة الحديثة .

فحقوق الإنسان هي سابقة على نشأ المجتمع ، وتدل على مقدمة الإعلان على سموها و للإنسان الحق في أن يقرر ضد الإستبداد والعبودية بوصفه كائنا حرا بطبيعته ، فالبشر يولدون أحرار ومساوون ، وهي حقوق مقدسة شاملة وغير قابلة للتصرف تحت طائلة فقدان الكائن لصفته الإنسانية ، أما حقوق المواطن هي تلك الحقوق التي يكتسبها الفرد بوجوده في مجتمع سياسي منظم ، وكتشجعة لحقوقه الطبيعية فلا وجود لها من دون وجود مجتمع الذي يهدف إلىالحفاظ على تلك الحقوق ، إن الحرية والمساواة هما الحقان الأساسيان للإنسان ،

¹بورنار فوتوزين فلسفة الثورة الفرنسية مرجع سبق ذكره ص 149

لما كانت الطبيعة الإنسانية واحدة لدى البشر، أي أنهم يشتركون في إنسانيتهم على نحو متكافئ دون الحقوق المترتبة عليها هي أيضا واحدة ، إنهم يولدون متسلوون في تلك الحقوق في الجسم السياسي الذي يجب أن يضمن هذين الحقين ويحافظ عليهما ، فلا يجوز أن يحرم الإنسان من حريته أو من حق التمتع بها ، كما لا يجب الإحتلال في المساواة ، إن تحقيق الحرية لا ينفصل عن المساواة ، فإن لو يتساوى البشر في قدراتهم وفي خيراتهم السياسية ، فلا يمكن الحديث عن حرية حقيقية فالحرية لا تتحقق إلا بتحقيق المساواة .

تكمن أهمية فلسفة روسو بكونها إرتقت بالحرية للمرة الأولى إلى مستوى الهدف المركزي الذي يجب أن يكون غاية. أي مجتمع ودولة ، حيث يؤكد الإنسان حريته حين يطرح كمواطن والمجتمع السياسي مطلوب لتفتحه اللجوء إلى هذا المجتمع ليس سوى من أجل ضمان الإنسان حقه في مقاومته القهر والطغيان وتأكيد حريته زمساواته مع الآخرين بواسطة القانون والمساواة السياسية التي تعد شرطا لا غنى عنه للمساهمة السياسية .

إن فكرة المواطنة تشترط الدولة وعندما نتحدث عن المواطن وحقوقه إنها تعني بذلك .السنة المجتمع السياسي ، فوجود المجتمع المدني كدائرة لممارسة الحقوق الطبيعية للإنسان فالإنسان بطبيعته " لديه صفة لا يمكن إ..استعارتها. أو التخلي عنها فإن كل فرد يحمل في ذاته حقه كإنسان وهذا حق واحد لجميع الناس " .¹

أما المواطن فهو مركز قانوني يستمتع به كل فرد يوجد داخل جماعة وجود ، مشروعا قانونيا يضمن للفرد الحد من تصف السلطة السياسية وإستبدالها.

كما يرتبط مفهوم الحرية في الإعلان لحقوق الإنسان إرتباطا وثيقا لمفهوم الملكية وتمنح.لاءحة. حقوق الإنسان حق الملكية الأهلية .الثالثة بعد مفهوم الحرية والمساواة إذ خصصت له المادة (17) التي تقول "لما كانت الملكية حقا ... مقدسا فلا يمكن أن يحررو

¹بونارشتوينفلسفة الثورة الفرنسية مرجع سبق ذكره ص 142

منها أحد، إلا إذا إقتضت الضرورة العامة من الملكية قانونيا ذلك بصورة واضحة وبشرط التعويض العادل والمسبق¹ .

إن قضية حقوق الإنسان موجودة بوجود الإنسان نفسه وقد إرتبطت فكرة حقوق الإنسان بفلسفة الأنوار وبنظرية العقد الإجتماعي وبالأخص مع روسو الذي يرى أن التوافق بين السلطة والحرية يتكون عن طريق العقد الإجتماعي الذي يتعهد فيه الإنسان بالتنازل للمجتمع وليس للحاكم عن حقوقه الطبيعية كاملة دون التحفظ بشيء " كلما كان النزول كليا ويلا نحفظ كان الإتحاد أكمل "

الإعلان العالمي لحقوق افسان هيئة الأمم المتحدة 1948 المادة 17

الخاتمة

بعد دراسة موضوع اسس نظرية العقد الاجتماعي في الفلسفة الغربية الحديثة واتخاذ الفيلسوف الفرنسي "جون جاك روسو" نموذجا' استخلصنا ان فلسفة روسو عامة في جميع ابعادها من اهم الفلسفات في الحداثة الغربية بصفة عامة حيث لم تكن بمقولاتها و مفاهيمها و تصوراتها مجرد جانب تنضييري فحسب بل كانت مجالا ثريا وواسعا لتغيير من الانسان وواقعه و معالجة مشكلاته و التطلعى احتياجاته فقد كان جون جاك روسو فيلسوف حقوق الانسان بلامتياز المدافع عن حريته المطالبت بكرامته الراض للاستناد و الظلم و الاستغلال المنادي بالمساواة هذه الحقوق ليست حقوق مستحدثة بالقوانين والدساتير و انما هي حقوق طبيعية هذه الظروف ليست ظروف عصر روسو فقط بل هي واقع يعيشه كل انسان في كل عصر و نعيشه نحن في كل زماننا خاصة اذا كان توجيهنا بانظارنا الى الواقع السياسي في العالم ككل ففلسفة روسو السياسية او نظرية العقد الاجتماعي هي فلسفة كل عصر.

لقد عمل روسو على انتقاد كل الفلسفات السياسية هذه و تجاوزها حتى انه تجاوز النضريات السياسية الحديثة التي سادت عصره فقد انتقد نظرية كل من هوبز و لوك اذ ارتبط تاسيس الدولة العادلة في نظر هوبز يتنازل كافة الافراد عن حقوقهم الطبيعية تنازلا نهائيا و مطلقا ففضلوا التخلي عن حريتهم المطلقة التي لم يستطيعوا التمتع بها في الحالة الطبيعية مقابل المحافظة على ارواحهم في ظل دولة تسيرها سلطة قوية قادرة على الحد من انتفاع البشر و تتحصر المهام القسوة التي اسندها هوبز في الدولة للحفاض على النظام والسلم المدني عن طريق السلطة المطلقة والقوة الرادعة المسندة للحاكم بموجب العقد الذي ابرمه الافراد فيما بينهم دون ان يكون الحاكم احد اطرافه وهو مطالب بحماية اعضاء الدولة و منعهم من الرجوع الى حالة الفوضى و الاضتراب التي ميزت الحالة الطبيعية

خاتمة

اما لوك فقد اعتبر قيام الدولة عادلة و بقائها مرهون بمدى قدرتها على تسخير كل سلطتها لحماية حرية و ملكية المواطنين وهذا الموقف مرتبط اساسا بفرضية لوك للحالة المدنية التي اكد انها سلم وطمأنينة يتمتع فيها الناس بحرياتهم و ملكياتهم و يحقق فيها الانسان باعتباره كائنا عاقلا و خلفيا و انسانيته بمعزل عن النضم الاجتماعية و السياسية وقد اكد الناس ان الحالة الطبيعية ان تنظم العلاقات بينهم و ضمان حقوقهم لا ياتي الا بخضوع الجميع لقوانين الطبيعة كما تقطنوا في الوقت نفسه الا ان تطبيق هذه القوانين لحماية حياة و ممتلكات البشر المعرضة احيانا لخطر الاعتداء و السلب يكون على امكن صورة اذا تم تحويل سلطة تطبيق القانون من الفرد الى سلطة الدولة فالمهام المسند للدولة حسب لوك تتحصر في تطبيق القوانين قصد ضمان حرية و ممتلكات اعضائها .

لقد كانت فلسفة روسو السياسية المرجع الذي لا يمكن تجاوزه في اي تناول فلسفي لفكرة التأسيس للفكر السياسي الحديث كون روسو من بين الفلاسفة الاوائل اللذين دعوا الى التطوير الاجتماعي لان الاجيال يجب ان تصنع نفسها بنفسها وذلك من خلال البحث في ثنايا الزمن عن ارقى السبل لتحقيق سعادتهم روسو يرى ان الناس في طبيعتهم الاولى كانوا متحابين باصل الفطرة فيهم فاصبحة الحالة الطبيعية التي سبقت المجتمع المدني كانت مثالية و انما فيها من فساد انما يرجع الى التقدم المدني و الحضاري فقال بان الحرية الطبيعية تشكل المبدأ و المنطق و الهدف لبناء حياة اجتماعية و يرى بان دخول الانسان الحر للمجتمع الحر من شأنه فتح افاق اوسع امام الحرية عن طريق ممارستها من الفرد و المجتمع وهو الذي قال بان المساواة هي قاعدة لنظام السياسي وهي التي تحمي الحرية و العدالة و قد كان روسو اول من رسم التقدم التاريخي للمجتمع الانساني و اول من اعطى المضمون الجدي و البعد الاوسع لغكرة العقد الاجتماعي ذلك العقد الذي يمتاز بانه يقوم على تخلي الناس عن حقوقهم الطبيعية للدولة لكن الدولة تعيدها لهم بعد ان تصبح حقوقهم مدنية

خاتمة

ان النتائج اللتي افرزتها فلسفة روسو و التي تعد قواعد الاولية لقيام مجتمع سياسي
فاضل و عادل يمكن ان نلخصها في النقاط التالية

_ ان الحياة الطبيعية كانت هي الحية الفطرية للانسان قبل ان يؤسس المجتمع المدني

_ ان الحالة الطبيعية كانت السلام و الشغاء و السعادة و بالنظر لصعوبة وتعذر

العيش في حياة الطبيعية و الاسباب متعددة فان الافراد قد اضطروا الى لتخلص منها و

البحث عن حالة افضل و الانتقال الى حياة النظام هذا الانتقال تم نتيجة ايرام عقد

اجتماعي و الذي تكونت بمقتضات الدولة

_ لقد كان الهدف من فكرة العقد الاجتماعي هو الاضاح الاساسي الذي تقوم عليه

الدولة و كيفية تنضيم العلاقات بين السلطة الحاكمة و الافراد

_ ان دوافع العقد الاجتماعي عند روسو هو الابتعاد عن الشرور التي اخذت تظهر

في حالة طبيعية بسبب الضعف الذي ظهر في طبع اغلبة الناس ذلك هو الدافع لخلق

المجتمع المدني الذي تصدر اعماله عن ارادة الشعب الارادة العامة التي تسعى الى الخير

العام و المنفعة العامة و بذلك تتحقق العدالة التي هي غاية في المجتمع السياسي

_ ان قوة المشروع الفكري الذي بناه جون جاك روسو بجهوده الفكرية و نضاله

المتواصل تتمثل في المرجعية التاريخية التي تسند هذا المشروع و تجدد ارضية

ومنطلقة

_ نظرية العقد الاجتماعي هي نصبر الشعب او السيادة الارادة العامة و كلمتها فمن

خلالها اراد روسو تحرير الضعفاء و نصرة المغلوبين المستغلين باعطاء الحكم للجميع

فهو يعطي الدولة دورا و هدفا هو قمع مساوىء الملكية الفردية وما ينتج عنها من

استبداد فاراد ان يحل التوازن الاجتماعي او العدالة التي كانت مصدر لالهام العديد

خاتمة

من الفلاسفة فيما بعد و من هذا نجد ان نظريته في المساواة كانت شيا جديدا في القرن الثامن عشر في المجالين السياسي و الاجتماعي

نستخلص من خلال دراستنا لفلسفة روسو انما قد لعبت دورا اساسيا في بناء نمط التفكير السياسي ففكرة العقد فرضية ضرورية في بناء التفكير السياسي الحديث كما ان نظرية العقد الاجتماعي لدى روسو تسعى الى تحقيق الخير العام للمجتمع و كذلك تحقيق الحالة التي يسعى اليها اي نظام سياسي كما ان هذه النظرية يترتب عليها دور فعال في ولادة الثورة الفرنسية عام 1789 اذا انها اعتنقت مذهب روسو في حصر السيادة في يد الشعب وحده كوحدة لها شخصيات مستقلة عن شخصية الافراد المكونين لها وكما ان الفلسفة روسو تضمنت افكار عديدة اعادت الاعتبار للانسان و التي نجدها ضمن لائحة حقوق الانسان.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المراجع:

1. أحمد أمين، رزقي، نجيب محمود، *الفلسفة الحديثة*، ج1، لجنة التأليف والترجمة، دار النشر، ط1، 2011.
2. أحمد ظاهر، *دراسات في الفلسفة السياسية*، بدون طبعة، 1987.
3. أندريه كوستين، روسو: *حياته الفلسفية (منتخبات)*، ترجمة نبيلة صفر، بيروت، منشورات عويدات، ط، 1988.
4. إبراهيم الحال، جون جاك روسو: *رائد الديمقراطية*، الإسكندرية، بدون طبعة، بدون تاريخ.
5. إبراهيم مصطفى إبراهيم، *من ديكارت إلى هيوم*، كمبريدج، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2000.
6. تومس هوبس، *اللفياتان: الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة*، ترجمة ديان حبيب حرب، بشرى صعب، رضوان السيد، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2011.
7. جون راولز، *العدالة كإنصاف*، ترجمة حيدر إسماعيل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2009.
8. جون لوك، *الحكومة المدنية*، ترجمة محمود شوقي الكيال، مطبعة شركات الإعلانات الشرقية، بدون مكان نشر، بدون طبعة، بدون تاريخ.
9. جون لوك، *رسالة في التسامح*.
10. جون لوك، *المجتمع المدني*، التاريخ المنقذي للفكر في المنطقة العربية، الترجمة، بيروت، 2008.
11. ستيفن ديلو، *التفكير السياسي والنظريات السياسية والمجتمع المدني*، ترجمة ربيع وهيئة، منتدى مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 2000.

قائمة المراجع

12. صالح مصباح، فلسفة الحداثة الليبرالية من هوبس إلى كانط، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2011.
13. عبد المنعم عباس رواية، الفلسفة الحديثة، دار الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1987.
14. عوض بالقاسم علي يونس، دور فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية، جامعة عين شمس، قسم الفلسفة، كلية الآداب، القاهرة، مصر، العدد 17، 2016.
15. غروتريزن، برنارد، فلسفة الثورة الفرنسية، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1982.
16. فضل الله محمد إسماعيل، رواد الفكر السياسي العربي الحديث، دار الجامعة الجديدة، بدون طبعة، 2008.
17. فولتير (فستافلويون)، روح الثورة والثورة الفرنسية، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012.
18. كمال الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، بدون تاريخ.
19. لويس عوض، الثورة الفرنسية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.
20. محمد وقيع اله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2010.
21. محمد فاضل الجامعي، تربية الإنسان الجديد، القاهرة، دار العربية للنشر، ط1، بدون تاريخ.
22. مصطفى أمين، تاريخ التربية، مصر، مطبعة المعارف بشارع الفجالة، ط2، 1926.

قائمة المراجع

23. نجيب المستكاوي، جون جاك روسو: حياته، مؤلفاته، غرامياته، دار الشروق، ط1، 1989.

24. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة في القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين، القاهرة، دار النشر والتوزيع، ط1، 2018.

الموسوعات والمعاجم الفلسفية:

1. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، بدون طبعة، 1993.

2. جمال الدين السعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، تونس، دار الجنوب للنشر، بدون طبعة، 2004.

3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، بدون طبعة، 1992.

4. عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994.

5. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، القاهرة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.

6. تودهنترتش، أكسفورد للفلسفة، ترجمة نجيب الحصادي، منتدى ليبيا للجميع، ج2، بدون تاريخ.

المراجع باللغة الفرنسية

1. **Jacqueline Russ**, *Histoire de la philosophie : de Platon à Foucault*, Paris, Éditions Hatier, s.d.

الفهرس

كلمة الشكر

الإهداء

المقدمة

7 الفصل الاول
7 منطرح المفاهيمي إلى جذور نظرية العقد الإجتماعي
5 المبحث الأول تحديد المفاهيم
5 العقد الاجتماعي
6 الحرية السياسية
6 العدالة
9 السيادة
11 المساواة
12 المواطنة
12 المبحث الثاني :
12 العقد الإجتماعي عند توماس هربز :
17 ثانيا : العقد الإجتماعي عند جون لوك
22 المبحث الثالث :
22 أولا : جون حاك روسو ومؤلفاته ومنهجه
28 الفصل الثاني
28 أسس نظرية العقد الإجتماعي
29 المبحث الأول : الحالة الطبيعية ومميزاتها
29 1- مفهوم الحالة الطبيعية :

33.....	المبحث الثاني: الحالة المدنية و مميزاتهما.....
33.....	مفهوم الحالة المدنية ومميزاتهما :.....
36.....	2 مميزات الحالة المدنية :.....
40.....	المبحث الثالث :.....
40.....	المشروع الديمقراطي للدولة عند روسو :.....
42.....	المبحث الرابع.....
42.....	دور التربية في بناء المواطنة.....
46.....	الفصل الثالث.....
46.....	تأثير اراد روسو الفكر السياسي الحديث و المعاصر.....
47.....	المبحث الاول : تأثيره على الثورة الفرنسية :.....
50.....	المبحث الثاني تأثيره على الفكر السياسي العربي.....
52.....	2 تأثير روسو غإعدام المساواة على فرح انطوان.....
53.....	المبحث الثالث.....
53.....	علاقة روسو بحقوق الإنسان.....
59.....	الخاتمة.....
64.....	قائمة المراجع:.....